فريق
متميزون
E-BOOK
دهاليز
فضفضة غريبة
محمد الناصر
الطبعة الأولى

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

دهاليز

محمد الناصر

عن الكتاب..

قصص تفوقُ الخيال ولا يصدّقها العقل، أنا صاحب حساب "فضفضة غريبة" أعود إليكم بست حكايات جديدة خارجة عن المألوف، ولن تخلُ القصص من الغرابة والغموض والترقب، بينما هناك نصيب كبيرٌ لعنصر التشويق الذي سيكون حاضراً بقوة في أغلب الحكايات، ومن خلال القصص اخترتُ العديد من الظواهر والقضايا المتنوّعة التي تثير التساؤلات وتدعوك إلى الدهشة، وربّما في بعضها ستشعر ببعض من الخوف، انتبه جيّدًا أنا غير مسؤول لما يحدث بعد الانتهاء من قراءة الكتاب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قبل الدخول للحكايات

نصيحةٌ

لا تَقتُل أحلامَك باليأس

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المقدّمة

تعرفونني جيّدًا أكره المقدّماتِ كثيرًا،

دعونا ندخل في صُلبِ الموضوع

ها أنا أعود لكم من جديد، أعتقد أنّ أغلبكم أصبح يذكرني بعد حكاياتي الأولى، التي أصدرتُها قبلَ ثلاثة أعوام باسم غيبوبة والتي من خلالها سطّرتُ لكم حكاية الفتاة المسكينة داليا مع زوجها صقر، وأغلبُكم -أيضًا- يعرف كيف وصلت لي قصة غيبوبة مع صاحبتها داليا، وعلى ما يبدو -أيضًا- أن جُلّكم أصيب بالدهشة مثلما حصل لي عندما قرأتها أول مرة، وأثارت هذه الحكاية العديد من التساؤلات لدى الناس، هل بالفعل هذه القصة حقيقية؟ وغيركم أراد أن يعرف هل أفاق صقر من غيبوبته مرة أخرى، وعاد للحياة ليحكي قصة غريبة أخرى أخرجها له عقله؟

طبعًا الذين يعرفوني لا يحتاجون للشرح، لكن في الأسطر القادمة سأوضّح للبعض مَن أنا وبالتحديد مَن يقرأ قصصي لأول مرة، باختصار أنا صاحب حساب خاصّ عبر برنامج "الانستغرام" خصّصته فقط للقصص الغريبة والعجيبة والخارجة عن المألوف، أسميته "فضفضة غريبة " وطبعًا عبر هذا الحساب الخاصّ دائمًا ما تأتيني رسائل عديدة يتحدّث من خلالها أصحابها عن أغرب المواقف التي مرّت بهم، وطبعا بعد رواية غيبوبة تفاعل الجميع مع هذا الحساب الخاصّ، وراح يرسلون لي قصصًا تفوق الخيال ولا يصدّقها العقل، ونظرًا لأنّ الجمهور أحبّ هذه الطريقة، خصّصت هذا الكتاب ووضعتُ به ستَّ قصص خارجة عن المألوف أرسلت على حسابي "فضفضة غريبة " وفضّلت أن تكون القصص منوّعة تتحدّث في أكثر من مجال، قصص لا تخلو من الغرابة والمفاجآت، وكما عوّدتكم اخترت لكم قصصًا تثير التساؤلات والدهشة، قصصًا أصحابها عاشوا لحظاتٍ مذهلة وغريبة وربّما مخيفة، قصصًا لا يكاد يصدّقها العقل، وكما وضّحت لكم، هناك بعض القصص التي ترسل لي، أعرف جيدًا أنهم قاموا بتأليفها حتّى ينالوا بعضًا من الغرابة، وهؤلاء أميّزهم بمهارة، وأعرف- أيضًا- كيف أصطادهم، لذلك أهملت رسائلهم، وكما عوّدتكم اخترتُ هذه الحكايات بعناية شديدة لأنّني أعرف أنّها قصص واقعية لكنّها وضعت لها إطار الغموض والغرابة، وأسميت هذه الكتاب "دهاليز" نظرًا للتعقيدات التي واجهتني عندما رتّبت هذه الحكايات، إضافة إلى السرد الغريب أرسلت به، أتمنّى أن ينال إعجابكم كما حصل في غيبوبة، والآن نبدأ مع أول حكاية.

لحظة قبل البداية، فضّلت عدم البوح باسمي الحقيقي، وسأتّبع الأسلوب نفسه يراسلوني به متابعيّ فِي حسابي الخاص، مثل صديقي، أو أيّها الصديق

العزيز، وكما وضّحت سابقا أفضّل هذا المسمّى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شيءٌ غريبٌ

كلُّ الأشياءِ قابلةٌ للتغيّر ثِق بنفسِك

صديقي العزيز، من خلال رسالتي هذه أريد اتّباع أسلوبك نفسه بعدم الكشف عن هويتي الحقيقية، وأريد فقط أن أرمز لنفسي بأول حرف من اسمي المدعوّ "ج" نظرًا لحساسية الحكاية التي سأقصّها، كوني أنا نفسي لم أصدّقها عندما اكتشفتُها أول مرة، وباختصار شديد ولا أريد الإطالة عليك.

أنا أعيش في ظلّ عائلة محبّة بشكل كبير للعلم والعلماء ومطّلعة بشكل كبير على جميع التحديثات التي تحصل في العالم الإلكتروني والتكنلوجي وبالتحديد الفيزياء والرياضيات وتلك الأمور المعقّدة، وأبي الذي يعيش في أواخر عَقده الخامس، رجل لربّما أطلقت عليه اسم عالم، نظرًا للمعلومات والشهادات التي يحصل عليها ما بين الحين والآخر ولربما بعد عام أو عامين سيحصل على لقب البروفيسور "ف" طبعا هذا أول حرف من اسم والدي، ورغم هذا كلّه إلا أنّ أبي-أيضًا- يعيش عالمه الخاصّ الذي لا يخلو من الغرابة والعجب، ولديه غرفة يرفض رفضًا باتًّا أيّ شخص في العائلة الدخول لها، حتّى والدتي أقرب الناس له وحبّه الأوحد يمنعها من الدخول لها، لأنه كما يقول يقيم بها العديد من التجارب، ولديه العديد من الملفّات الحسّاسة التي تخصّ جهات عمله بغاية السرّية ولا يريد أيّ شخص يطّلع عليها، خاصة أنّ والدي يعمل في مكان حسّاس، لحظة.. لا تظنّ أنه يعمل في جهات أمنية بل هي جهات علمية تقيم العديد من التجارب السرّية وترسم خططًا للمستقبل، طبعا أنا "ج" لم أقتنع قطّ بحجج أبي وأسبابه التي يذكرها لنا، بل كنت شديد اللهفة للدخول لهذه الغرفة والاطّلاع على كلّ ما فيها، وفي الوقت نفسه كنت متردّدا وخائفًا من اكتشاف أبي وردة فعله لو علم أنني اقتحمت مغارة علي بابا، واطّلعت على أسرارها

كانت فكرة دخول تلك الغرفة التي تقبع في الطاقم الثاني من منزلنا الكبير تلحّ عليّ بشكل دائم ومستمرّ، وتحاصر عقلي من جميع الاتجاهات، لكنّي كنت أطردها بشدّة، وأقول لنفسي أنا لا ناقة لي وجمل، ولا أدري ما هو الشيء الذي بداخلي يلحّ عليّ باستمرار من أجل كشف خفايا تلك الحجرة

وبالفعل جاء اليوم الذي تهيّأت به كلّ الأسباب التي تحتّم عليّ دخولها، عندما سافر والدي كعادته لحضور مؤتمر خاصّ في أحد العلوم التي يختصّ بها، ووالدتي ذهبت للشاليه مع بعض خالاتي، بينما أنا جلست في البيت للمذاكرة نظرًا لاقتراب موعد اختبارات منتصف العام الدراسي، وفي لحظة ملل كنت أجول بها في المنزل، وقعت عيني على باب الغرفة، سال لعاب تطفلي ورحت أصارع عقلي وفضولي بعدم الدخول، بينما هناك شيطان يشدّني من

يدي ويقول لي يا غبي لن يعلم أحد، لن يأخذ منك الأمر سوى ساعة واحدة، وأنت متأكّد أنه لن يحضر أحد، وفوق هذا كلّه أنا أعرف جيّدا أين يخبئ والدي مفتاح تلك الغرفة، فهو شديد الثقة بنا جميعا ويعرفنا أنا وإخوتي أنّنا مطيعون بشكل غبي لجميع الأوامر التي يصدرها، لكنّه نسي أنّ لكل قاعدة شواذ، وأنا الشاذّ الذي خرج عن قاعدته، وتمرّد على قوانينه، واقتحم تلك الغرفة السرّية، التي يخبّئ بها كلّ أسراره

وكما هو متوقّع أول شيء شممته عند دخولي المكان هو رائحة الورق القديم، الغرفة من الداخل على ما يبدو لم تتغيّر ديكوراتها بشكل كبير منذ سكننا أول مرة، إضافة إلى الفوضى التي امتلأت بها من كلّ اتجاه، بسبب عدم تنظيفها، الغبار العالق بكلّ مكان، صناديق ورقية رثة تكدّست في زواياها، وصناديق خشبية، وأوراق وطاولات ملئت بقوارير العلماء الخاصّة بتجاربهم، ومفكّات وزيوت، وأشياء لا أدري لماذا أبي يضعها بهذا المكان، بينما يقبع بزاويتها مكتب صغير ومصباح خاصّ للقراءة، وبجانبه شيء غطّي بقطعة خام بيضاء، وهو الشيء الوحيد الذي أثار فضولي وجعلني أتقدّم ناحيته حتّى أكشف عن ماهيته

الفضول هو دافعنا الأول لاكتشاف العالم، وعندما رفعتُ الغطاء استغربت كثيرا، لا أدري ما هذا الجهاز أو هذه الآلة، لا أعلم ما أسمّيها، كانت بيضاء تشبه الصحون الفضائية التي نشاهدها دائمًا في مسلسلات الكرتون لحدّ كبير بوسطها كرسيّ لونُه فضيّ مصنوع من الجلد، هناك العديد من الأزرار التي رصت بعناية فائقة ومقود صغير للتحكّم، يبدو أنّها صنعت بجودة عالية، خاصة أنها نظيفة ولامعة، لكن أعلم جيدا كيف تعمل هذه الآلة، أبهرني المنظر كثيرًا، وفضّلت أن أجلس بداخلها حتّى أحظي بلحظات الخيال كأنّني رجل فضاء أو كائن من كوكب يقود هذه المركبة الصغيرة، وعندما جلست على المقعد المخصّص، انتبهت أنّ هناك مكانًا لوضع الحاجيات مثل الأدراج التي توضع بالسيّارات فتحت أحدها ليقفز منها ملفّ ليس بالسميك كثيرًا، أمسكته ونظرت لداخله لأجد مكتوبًا على أول صفحة وبالخطّ العريض، نتائج التجربة الأولى، هنا ازداد الفضول لديّ، ورحت أتساءل وعن أيّ تجربة يتحدّث والدي، فتحتها وبدأت بقراءة ما بداخل هذا الملفّ، وهو الشيء الذي جعلني متحيّرًا ومذهولا ممّا قرأته، هل بالفعل هذا ما حدث لوالدي عندما زار عالما آخر بحقبة زمنية مختلفة ورأى تلك الحكاية

واكتشفت أنّ والدي يقيم تجارب خاصّة للسفر عبر الزمن وهذه الآلة التي أجلس بداخلها هي التي من خلالها يسافر ويجول الأزمان، وعرفت أن هناك طقوسًا معيّنة أو معادلات رياضية وفيزيائية معقّدة يقوم بها قبل أيّ رحلة، والخطأ فيها له عواقب وخيمة، ومن نتائج التجربة الأولى عرفت أن والدي لم

يكرّر قطّ تجربته التي قام بها، عندما زار المستقبل، وحكى تلك القصة لزملائه الآخرين الذين يعملون بالمجال نفسه، وها أنا الآن سأقصّ عليك بالضبط ما حدث، ولكن لا أريد أن أدخل بتعقيدات الفيزياء والمعادلات الرياضية، التي يعشقها والدي، كلّ ما أريده هو أن أحكي لكم إحدى القصص التي نقلها والدي لذوي الاختصاص، لكن سأقولها بطريقتي الخاصّة وبلسان صاحبها التي قصّها على والدي، إليك القصّة.

الكويت ٢٠٧٨ - الأحمدي

في أحد المقاهي الجديدة المطلّة على إحدى البحيرات الصناعية في منطقة الأحمدي كنت أتحدّث مع الأصدقاء عن التصرّفات الغريبة التي طرأت مؤخّرًا على صديقنا صالح، بسبب كثرة تهرّبه الواضح من إكمال مشروعنا الخاصّ المرتبط بالذكاء الاصطناعي، فهو من الأوائل المتحمّسين الذين قدّموا المشروع، للمسؤولين في شركة النفط الكويتية، كونهم أشرفوا على العديد من المشاريع الصناعية بعد التراجع الكبير في مبيعات النفط، فغيّرت الشركة إستراتيجيتها الاقتصادية وراحت تكثّف من المشاريع الإلكترونية المواكبة للعصر، وتبني العديد من الشباب الطامحين والمبدعين

وكان صالح أحد هذه الأسماء التي قدّمت مشروعها من أجل استثمار اختراع الذكاء الاصطناعي والاستفادة منه في صناعة "روبوتات" عالية الدقّة تحمل مواصفات إنسانية، وسرعة بديهة من خلال حزمة من البيانات التي يتمّ نقلها من البشر الحقيقيّين ووضعها في البرنامج الخاصّ لهذا "روبوت"

ولا أنكر أنّ صالح لديه أفكار مذهلة، كونه قام بعمل برنامج دمج به العديد من المشاعر والانفعالات لأصناف مختلفة من البشر وقام بموازنتها وقياسها حتّى تكون واقعية ودمجها في المخّ الاصطناعي الذي سيتمّ برمجته على "روبوت" القادم، بينما عمل بجهد من أجل صناعة جلد لا تستطيع العين المجرّدة تفريقه عن الجلد الذي يختلف عن الجلد الحقيقي من جميع النواحي، وإضافة العديد من البرمجيات الخاصّة بمرونة حركة الأطراف وحركة العينين، وسرعة البديهة ليجعل أمامنا "روبوت" يفوق الوصف كأنّه إنسان حقيقيّ يعيش بيننا بشكل طبيعي جدًّا.

وحتى أكون واقعيًّا فمن الصعوبة أن يقوم صالح بكلّ هذه الأعمال وحده، فقام بتشكيل مجموعة كنت أنا أحد أفرادها، بالإضافة إلى زوجته التي هي الأخرى لا تختلف عن حماسه وطموحه، التي تعمل أيضا بالمجال نفسه، وعدد من الأصدقاء المبدعين المتخصّصين بهذا الشأن

قال عبد الله أحد أفراد المجموعة بغيظ

- الأمر الذي يثير غيظي أن مشروعنا بات جاهزًا، ولَم يتبقَّ سوى تركيب الأجزاء..

ثم صمت وسُرِّح قليلا وعاد وقال

- تعتقدون أن صالح وزوجته قد استغلّونا طوال هذه الفترة، وعندما وصلنا للنهاية، بدوا يتصرّفون بهذا الشكل من أجل تسجيل هذا الإنجاز باسميهما فقط

قاطعته وقلت

- من المستحيل أن يفكّر صالح وزوجته بهذه الطريقة فأنا أعرفهم جيّدا، الأمر وراءه شيءٌ غريب

تدخّلت حنان هنا بقوة كأنّ كلامي لم يعجبها قائلةً

- من الطبيعي الدفاع عن صديقك المقرّب، انظر جيّدا إلى حال الشباب فهم يعيشون بحالة من التوتّر خاصّة أنّ موعد تسليم المشروع بعد ثمانية أيام والجميع قلق

كان النقاش تسوده حالة من العصبية والتوتّر؛ لأنهم يعلمون أن نجاح هذا المشروع سيخلّد أسماء جميع أفراد الفريق كونهم قاموا بعمل تاريخي غير مسبوق، وسيفتح لهم هذا الإنجاز آفاقًا عالمية كبيرة، والذي يزيد توترهم أن المشروع سرّي لم تتسرّب منه أيّ معلومة للإعلام، لما كان صالح هو المسؤول المباشر ولديه بعض المعارف بشركة النفط، فمن الممكن تسجيل الإنجاز باسمه واسم زوجته، وينكر عمل المجموعة أو أنه يختار بعض الأسماء منهم، هذه بعض الاستنتاجات التي خرجوا بها، إضافة إلى الاتهامات المبطّنة التي كانت توجّه لي بشكل غير مباشر، وبالأخير كلّفوني بطريقة إجبارية إنهاء هذه المشكلة ووضع حدّ لها لأنني الأقرب له من بين جميع أفراد المجموعة

انطلقتُ بسيّارتي وأنا غاضب جدًّا من تصرّفاتهم، ومتوجّهًا بسرعة كبيرة إلى منزل صالح وزوجته، أريد إجابات مقنعة لتلك الأفعال، حتّى أبرّئ نفسي من دائرة الاتهامات التي وجِّهت لي من قِبل المجموعة

طرقت الباب لكن لم أجد أيّ استجابة لم أرحل وأصررت على خروج أحدهم الأمر لا يتحمّل أكثر من ذلك

وبعد أكثر من ستّ دقائق خرج لي صالح بغضب قائلا

- يبدو أنك نسيت أنّ الوقت الآن غير مناسب لأيّ زيارة إنها الـحادية عشرة والأغلب نيام

لم أهتمّ كثيرًا لتلك الجملة التي قالها وبالوقت نفسه، استغربت من كلامه لأنّني أعرفه جيّدًا فهو من النوع الذي يهتمّ كثيرًا، وزيارتي له بهذا الوقت لها مبرّرات عديدة المصيبة أنه لم يسأل عن أيّ مبرّر وراح يلقي عليّ اللوم.. قلتُ له

- لماذا تتصرّف بهذه الطريقة ما الذي تغيّر يا صالح، الجميع يستغرب ممّا تفعل، وابتعادك وتهرّبك يثير التساؤلات

نظر بملل وهو يمدّ يده إلى الأعلى وينزلها بسرعة كبيرة معبّرًا عن سخطه

- كلّ ذلك لا يهمّني لم يتبقَّ سوى أيام قليلة ونسلّم لهم المشروع، أنا فقط أشعر بالتعب من الفترة الماضية وأحتاج للراحة هذا كلّ ما في الأمر، لحظة على ماذا هم يتذمّرون فكلّ ما قاموا به سوى إطاعة توجيهاتي لهم، هم مجرّد علماء كسالى يريدون نسب نجاح لا يستحقونه، قل لهم سيحصلون على ما يفكّرون به، مسألة وقت لا أكثر.

لم تكن إجابته مقنعة فأنا أعرفه جيّدًا هو من النوع الذي لا يكلّ ولا يملّ يعمل ليلَ نهارَ، واليوم يتحجّج بالتعب

- هذا أمرٌ جديد يا صالح.. تغيّرت كثيرًا كلّ ما أريده أجابه مقنعة للمجموعة التي تعيش بحالة قلق بسبب تصرّفاتك المريبة أنت وزوجتك

ردّ ببرود وهو يتهيّأ لإغلاق الباب

- الآن أنا مضطرّ للذهاب، أرجوك لا تكرّر مثل هذه الزيارات بمثل هذا الوقت

هنا دوّت صرخة عالية من البيت، إنه صوت زوجته صرخات متتالية كأنّ أحدهم يعذّبها أو يحاول إيذاءها

نظر لي صالح بارتباك ثم أغلق الباب بوجهي بسرعة، بينما بقيَت الصرخات تتوالي لدقائق إلى أن اختفت بعدها بشكل نهائي ليعود الصمت مجدّدًا وسط ذهولي

عدتُ إلى رشدي بعد دقائق من الصدمة غير المتوقّعة، أفكّر وأعيد الأحداث التي حصلت، وتلك الصرخات المتألمة التي دوّت بها زوجة صالح، وارتباكه وهروبه وكلّ تصرّفاته الغريبة في الأيام الأخيرة، أثارت فيَّ الشكوك

ومن دون شعور عدت مرة أخرى أضغط بشكل متواصل على جرس منزله لكنّه لم يستجب، أغلقت الأنوار الخارجية للبيت برسالة واضحة من صالح معناها ارحل

رجعت إلى سيّارتي والحيرة والشكوك تكاد تقتلاني، أريد إجابات صريحة على هذه الأسئلة، وهذا الأحمق لا يزال يهرب ويتصرّف بغرابة ليست له مثيل، وبداخلي وحشان يتصارعان أوّلهم الفضول والآخر اسمه لا يهمّني

وقبل أن أغلق باب السيّارة دوّت الصرخة بشكلٍ مستمرّ كأنّها تستغيث والصوت بات متقطّعًا، هذه المرة لم تستمرّ لدقائق كما في السابق بل كانت أقلّ من دقيقة

فهمت الآن، صالح لديه مشاكل مع زوجته وهو الآن.. لا، لا من المستحيل أن يكون قد ضربها، أعرفه إنه شخصية راقية ومحترمة وليس هو من ذلك النوع الذي يتعامل مع الآخرين بيدَيه

جلست بسيّارتي مدة من الوقت أنتظر أيّ ردّة فعل أخرى لعلّ وعسى يرتاح بالي الذي بات مشغولا بتلك الصرخات، هنا رنّ هاتفي المحمول كانت المكالمة كما هي واضحة أمامي فيديو رددت عليه..

- ارحل يا عليّ، الأمر لا يحتاج كلّ هذا القلق والتوتّر، كلّ ما في الأمر أنّ زوجتي سقطت بعد أن زلّت قدماها وهي الآن بحالة جيّدة، إنك بوقوفك أمام منزلي بهذا الشكل تثير شكوك الجيران، الموقف لا يحتاج كلّ هذا

أجبته بعصبية بالغة

- تتصرّف بشكل غريب جدًّا، وتطلّب منّي الرحيل، وكلّ الذي حدث تريد إنهاءه بمكالمة، يبدو أنّك لم تعد تعي ما تفعل

ردّ عليّ بهدوء

- أعدك إذا قابلتك غدا في مكان العمل فسأشرح لك بعض الأمور. المهمّ الآن هو رحيلك وسأحسم موضوع المشروع، بل إنّني سأجتمع مع الزملاء الباقين واطمأنّ الجميع أن الأمور ستكون على ما يرام

أثناء حديثه كنت أسمع صوت زوجته وهي تطلب منه سرعة إنهاء المكالمة، حتّى إنها كانت تظهر على شاشة الهاتف، وهو الأمر الذي جعلني أطمئنّ أنّ كلّ ما حدث مجرّد حادث بسيط، جعلها تصرخ بهذا الشكل

أغلقتُ الهاتف، وأدرتُ محرّك السيّارة، إلا أنّ بالي لا يزال مشغولا، لم أقتنع بالكلام الذي قاله لي، سارت السيّارة ولا يزال ذلك الوحش الذي بداخلي ينهشني من الداخل، إنّه الفضول، أو الحاسّة السادسة التي بدأت تعمل بهذه اللحظة، وتؤكّد أنّ صالح يكذب، وقبل خروجي من منطقة الأحمدي عدت أدراجي، متّجهًا مرة أخرى لمنزل صالح، لا أدري لماذا كلّ هذه الشكوك تطرق رأسي، اقتربت ولم أركن سيّارتي بجانب المنزل هذه المرة، ترجّلت

واتّجهت ناحية بيته من جانبه الخلفي، أعلم أنّ الفكرة التي سأقوم بها مجنونة وربّما تكون غبية، لم أجد أمامي سوى هذا الحلّ

كلّ الأحداث التي حصلت في الساعات الأخيرة تؤكّد أن صالح يخفي شيئًا، اتصاله -أيضًا- يؤكّد أنه يريد من خلاله التمويه على ما أعتقد، بهذه اللحظة وقفت خلف منزله، وكما هي بيوت الأحمدي الخاصّة بمباني شركة النفط فهي لها بابان أحدهم أمامي والثاني خلفي، وكوني - أيضا- أعرف جيّدًا مداخل المنزل ومخارجه فالأمر لا يحتاج سوى اعتلاء هذا السور غير العالي وأقفز داخل البيت، خاصّة أنني أملك جسمًا نحيلًا يساعدني على خفّة الحركة، وجدت نفسي في الفناء الخارجي الخلفي للمنزل، وهناك مخزن صغير أمرّ بجانبه بهذه اللحظة يبدو أنّ صالح قد بناه في وقت قريب، الإضاءه في أغلب أرجاء البيت مغلقة، والظلام غير الدامس هو ما يتحكّم بالموقف، كنت أسير بخطوات حذرة لا أريد أن يسمعني أيّ شخص، ويبدو أنّ صالح اطمأنّ أنّي رحلت، ولم يضع بالحسبان لا من قريب أو بعيد بما سأقوم به، خاصة بعد أن سيطر على عقلي ذلك التفكير الشيطاني

أمامي الآن الباب الخلفي الذي سيدخلني مباشرة للمنزل، الذين يسكنون بيوت الأحمدي الخاصة بشركة النفط سيعرفون عن ماذا أتحدّث، فنظام المنازل هنا لها طابع إنجليزي بحت من ناحية بساطتها وسهولة التنقّل بها، وطراز هذه البيوت لم يتغير منذ مدة طويلة، ولحسن الحظ أنّ الباب لم يكن مغلقًا، أسير في الآن في أرجاء المنزل بخوف وارتباك فأنا غير محترف بمثل هذه الأمور ولم أدخل بيوت الناس في السابق كاللّصوص، كانت كلّ حركة أو صوت أسمعها ترعب قلبي وأتحفّز لها بكلّ خوف، وتجحظ عيناي بتركيز ناحية أيّ شيء

إلا أن شممت رائحة تبدو كأنّها رائحة سمك متعفّن وهو أول شيء قد صادفني هنا، لا ليست سمك إنّها قريبة من ذلك، رائحة كريهة مقزّزة، ولا أعلم كيف أصفها، رحت أنجذب بقوة ناحية مكان الرائحة وعلى ما أظنّ أنّها قريبة منّي جدًّا، أتوقّع ستكون بهذه الغرفة التي على ما تبدو أنّها خاوية، كنت اتّجه ناحيتها، وكلّما تقدّمت خطوتين الرائحة تزداد حدّتها وانتشارها، هنا بهذه الغرفة تفوح تلك الرائحة، فتحت الباب وضعت يدي على أنفي أريد تحاشي تلك الروائح الخانقة والكريهة، وقفت بوسط الغرفة التي على ما يبدو كانت مكانا مخصّصا لأجهزة التبريد كالثلاجة، والفريزر، وبرّاد الماء، أظنّ إحداها لا يعمل وهذه الرائحة تصدر من بعض اللحوم التي تعفّنت بسبب العطل الذي أصابها

لحظة لماذا لم ينتبه صالح لذلك، يا إلهي أنا أعرف هذا الرجل جيّدًا فهو دقيق ومنظّم ولا يحبّ أن يفوته شيء، سرّ تميّزه أنه لم يكن مهملًا، وحالة هذا

المكان تدلّ على الإهمال الشديد، زاد فضولي وجعلني أفتّش عن ذلك المصدر الذي تنبعث منه الروائح، وفتحت الثلاجة كانت تعمل بشكل جيّد، برّاد الماء -أيضًا- يعمل قلت بنفسي من الممكن أن يكون قطٌّ قد مات أو أحد القوارض وهذه رائحته، لحظة ذلك "الفريزر" يبدو أنّه لا يعمل كما توقّعت الرائحة تزداد شراسة كلّما اقتربت منه، عندما فتحته لم أجد إلا ذلك الثلج المنتشر ويغطّي كلّ شيء داخله لكنّ الرائحة كانت تتدفّق بقوة منه، كاد أن يغمى عليّ من شدّتها، الأمر يثير الحيرة لماذا الثلج يملأ "الفريزر" لكنّه كان نصف ذائب بسبب العطل الذي أصابه، ويبدو أنه عطل قد حصل قبل سويعات قليلة نظرًا لذوبان بعض الثلج وتماسك الآخر، اقتربت منها مرة أخرى وبدأت بتحريك الثلج الذي كان يتفتّت بسهولة بسبب عدم تماسكه، أريد معرفة ما ذلك الشيء الذي يصدر كلّ هذه الرائحة العفنة

هنا قفزت من مكاني وسقطتُ على الأرض بعد أن برز رأس إنسان محشور بشكل غير مرتّب داخله، قلبي وكلّ شعرة من جسمي قفزت من مكانها من شدّة الرعب، إنّها جثّة، جثّة يخفيها صالح داخل هذا الفريزر، هل معقول ما أرى أمامي؟! أو أنني أتوّهم والموقف الذي أنا فيه جعلني أتخيّل أشياء غير حقيقية، بقيت مرميًّا على الأرض، أنتفض من الخوف، وبدأت في استجماع بعض من شجاعتي، ولوهلة قررت العودة مرة أخرى إلى سيّارتي، وترك هذا الأمر برمّته، حشرُ أنفِك بما لا يعنيك يقودك أحيانا للجنون

ابتلعت ريقي وأخذت نفسًا عميقًا، وفكّرت قليلًا وقلت لنفسي..لا لا كيف أعود لا بدّ من معرفة جثّة مَن التي يخفيها صالح داخل هذا المكان، لا أعرف أنّ صديقي قاتل مأجور أو أنه متمرّس بتلك الأشياء، هناك سرٌّ يخفيه صالح ولا بدَّ من معرفته!!!!

اقتربت مرة أخرى بحذر كان رأس الجثّة هو مَن يطلّ بالوقت الحالي، والشعر هو ما أراه الآن، الأمر بغاية الصعوبة فأنا لم أرَ جثّة بحياتي، إلا بمراسيم الدفن غير ذلك كنت أراها مغطّاة، واليوم بمواجهة جثّة محشورة في "فريزر" ومكشوفة بشكل كامل أنا وحدي في منتصف الليل، وقفت هذه اللحظة أمامها أغمض عيني تارة وأفتحها تارة، يدي على أنفي أغطّيه من أجل تحاشي تلك الرائحة، واليد الأخرى تزيح ذلك الثلج المتماسك والمتراكم، بينما قلبي يدقّ بشدّة شعرت لوهلة أنّه سيخرج من صدري من الخوف، بدت ملامح الجثّة تظهر رويدًا رويدا، وعندما انكشف الوجه الشاحب جدا وغير واضح الملامح، سرعان ما هبّت رياح المفاجأة التي كادت تذهب عقلي، للحظة شعرت أنني بداخل أحد الكوابيس أنه الجثّة تعود.... لزوجته، فركت عيناي بقوة محاولا عدم تصديق ما أراه لكنّ الحقيقة تبقى حقيقة حتى لو كانت مؤلمة.

صالح قتل زوجته وأخفاها داخل هذا المكان، صالح قاتل، لا أدري ما الدوافع وراء الجريمة، ولماذا فعل هذا الأمر؟ أكاد أجزم أنه مخبول، لا لا صالح إنسان عاقل ويتعامل مع الأمور بحكمة، وفوق كلّ هذا فهو يعشق زوجته كثيرًا، وعلى ما أظنّ أنّ الإجابة باتت واضحة على كلّ تصرّفاته غير المنطقية الأخيرة قتل زوجته هو ما جعله بحالة غير مستقرة

لحظة هناك شيء آخر للتوّ طرأ على بالي، الصرخات التي ظهرت قبل ساعة من الآن كانت لزوجة صالح عندما كنت واقفًا معه، ورائحة الجثّة ومكانها يؤكّدان أنها ميتة منذ يومين على الأقلّ، هل هذه جثة لفتاة أخرى، أو فتاة تشبه زوجته، دققت النظر مرة أخرى، لا إنها هي اعرفها جيدا، وأتذكر ملامحها

أغلقت باب "الفريزر"، وقررت الخروج مسرعا، المكان امتلأ بالطاقة السلبية إضافة إلى الروائح المتعبة، ولحظات الرعب التي انتشرت بشكل لا مثيل له، وحالتي التي تمر بهذا الموقف لأول مرة، وقلت لا بدَّ من إيجاد إجابات واضحة وصريحة على كل الأسئلة، وسأواجه صالح غدا بكل ما رأيته

تقدمت بالخطوات الحذرة نفسها التي دخلت بها المنزل عائدا أدراجي، أحاول الابتعاد عن هذا المكان بكل ما أوتيت من سرعة

الأحداث السريعة دائما ما تأتي بأفكار أسرع، يبدو أن هذا اليوم هو يوم الجنون بالنسبة والمغامرات المتهورة، الفكرة التي جاءتني ستعرفونها بعد قليل، أردت التأكد من شيء قبل خروجي، حتى أعرف كيف أتصرف غدا عندما أواجه صالح، وعدم الخروج وإكمال هذا الجنون

عقدت العزم على أكمال مشواري بهذا المنزل لعلي أكتشف سرا أخر يجبيني عن السؤال الذي صار يدور برأسي، كنت أسير ناحية غرفة صالح وزوجته، أسير ألآن في ممر طويل واعرف جيدا أين تقع غرفة صالح في بيوت الأحمدي الخاصة بشركة النفط جمعيها متشابهه من ناحية التصميم، نظرت للباب الذي كان شبه مغلق ولا يحتاج سوى للدفع من اجل فتحه للأخر، وهذا ما فعلته دفعته ببطيء شديد، كانت الغرفة غير مظلمة نظرا لوجود مصباح خافت أخر ينير المكان بهدوء، كان صالح مستلقي على فراشه وعلى ما أظن إنه نائما، الذي أثار حفيظتي وخوفي، هي زوجته التي كانت واقفة بجانب الفراش بجمود كبير لا تتحرك كأنها تحرسه وكانت تنظر للحائط الذي أمامها بتركيز كبير بعينين مفتوحتين، لا ادري لماذا كانت تفعل ذلك، لكن المشهد كان بالنسبة مرعبا لأبعد حد من صاحبة الجثة التي داخل ذلك "فريزر"، في هذه اللحظة اختبأت بشكل سريع خوفا من أن تراني بجانب الباب وأنا الهث بسرعة، ظننت للحظة إنها رأتني، لحظات مرت دون أي ردت فعل مددت

رأسي مرة أخرى أنظر لها والمفاجأة إنها واقفة بنفس طريقتها لا تتحرك، هنا راحت الأسئلة تتصارع برأسي، لماذا هذا الجمود اللعين لهذه المرأة؟ لحظة أنا أع!! إذا من صاحبة الجثة التي وجدتها داخل "فريزر" الأحداث كانت تحصل بشكل سريع ومخيف ومريب بالوقت نفسه

يا إلهي.. هل رأتني ؟ إذا رأتني لماذا لم تصدر منها أي ردت فعل !! أو أنها تتظاهر بهذا الأمر حتى تستطيع القبض علي.. لا أدري على كل الأحوال لا بدّ من الهرب سريعا، انطلقت بخطوات مهرولة أريد الوصول للباب الخارجي، لكنّني تعثرت بشيء أسقطني أرضا وعلى أثره أصدرت جلبة كبيرة، التفت يمينا لأجد الحمّام هو أقرب مكان للاختباء، دنوتُ من الحمّام وأنا أزحف زحفا، لأقف وأختبئ في أغبى مكان من الممكن أن يخمّنه أي إنسان وراء ستارة "مرش الماء"، وأعتقد أنّ هذا المكان هو الأول الذي سيفكّر به أي شخص حتى لو كان مجنونا، هنا سمعت خطوات داخل الممر وعرفت أن أحدهم يتقدّم لكن لم أعرف هل هو صالح أم زوجته، التوتر يكاد يفتك بي، بالكاد أتنفّس لا أريد أن تصدر منّي همسة، مرّت دقائق كأنّها الدهر، لم يفكّر صاحب الخطوات بالدخول للحمّام والبحث به، راح يسير مرة أخرى بتلك الخطوات عائدا إلى من حيث ما جاء، المريب أنني لم أسمع أيّ صوت، ولا أعرف من صاحب الخطوات

لم أقرّر الخروج ووقفت أعيد التفكير مجدّدا لما يحدث أريد دخول صالح وزوجته مرة أخرى بحالة نوم عميق حتّى يتسنّى لي الخروج، إنني في موقف لا أحسد عليه أبدًا، حتّى إنّه أنساني تلك الجثّة القابعة بذلك القبر المجمّد

بعد مرور ما يقارب ربع ساعة قررت الخروج، أحسب وأقيس خطواتي أدقّق بالممر الذي سقطت به قبل دقائق حتّى لا أعيد الخطأ الذي حصل لي قبل قليل، كان الأمر أشبه بالكابوس، هنا توقّف كلّ شيء توقّفت الذاكرة لم أشعر إلا بذلك الشيء يسقط على رأسي، ولم أستيقظ إلا وأنا مكبّل بتلك الحبال ومرمى على الأرض

التفت يمينا وشمالا بخوف لكن حركتي بهذا الوقت كانت بطيئة، وكنت أشعر بدوار برأسي وهناك بعض الدماء الجامدة قد غطّت جزء من رقبتي كنت أنظر لها بعينين مذعورتين، هنا انتبهت لجسد يقف أمامي، دقّقت النظر لأرى زوجة صالح تقف وهي تحملق بي بطريقة غريبة، أكاد أجزم أنها جامدة، وتبدو لك كأنّها محنّطة

هنا سمعت صوت صالح قادما من الاتجاه الآخر وهو يقول

- عرفت أكثر ممّا تريدُ يا عليّ

نظرت لصالح وأنا أكاد أنفجر غيظا، إلا أنّ موقفي الذي فيه كان ضعيفا، هنا تذكّرت الجثّة، وبمحاولة يائسة حاولت تهديده قائلًا..

- منذ متى وأنت تخبّئ تلك الجثّة، ولماذا قمت بقتلها؟ هذا الأمر ما كان يشغل بالك طوال الوقت

أعلم جيدا أنني غير متأكّد أنه القاتل

قاطعني وهو ينظر لي بجمود

- تعرفني جيّدا يا عليّ أنت أكثر شخص عمل معي، وإنني لست من ذلك النوع الذي يقتل، كلّ ما في الحكاية أنها أرادت الكشف عن حقيقة تجاربنا التي قمنا بها، فما قمنا به كان يفوق كلّ تصوّر، خاصة أنّنا وصلنا لطريقة من خلالها استطعنا نقل جميع الذكريات التي يحتفظ بها العقل الباطن لأي شخصية ووضعها بعقل شخص آخر، إنه أمر لا تتخيّله، واتّفقت مع زوجتي على أن هذه الأبحاث والتجارب والنتائج تبقى سرًّا خاصة بموضوع نقل الذكريات، ونقوم فقط بنقل الصفات والانفعالات والمشاعر، أمّا الذكريات فنحتفظ بهذا الأمر لنا، حتّى يتسنّى لنا اختباره بشيء آخر، لكنّها كانت غير موافقة أبدًا، وعنيدة، وتريد الكشف عن كلّ ما تواصلنا له

حتّى هذه اللحظة لم أفهم سوى القليل ممّا قاله صالح...!!

أكمل حديثه وعلامات بعض الحزن والندم واضحة على وجهه

بعد ذلك يا عليّ.. قمنا بتطبيق التجربة بشكل فعليّ بعدما صنعنا مجسّم خاصّة نقوم من خلال بنقل الصفات الإنسانية "لروبوت" وصنعنا مجسمًا آخر يشبه زوجتي من أجل استنساخ عقل زوجتي وذكرياتها ونقلها لجسم روبرتي المتمثّل بالمجسّم الذي يشبه زوجتي بعدما وضعنا كلّ أبحاثنا وتجاربنا فيه، لتظهر تلك النتائج المبهرة والرائعة، لقد استنسخنا زوجتي بكامل صفاتها الجسمية والعقلية، إنها هي بذاتها لا تكاد حتّى التفريق بينهما، هنا طرأت بعقلي فكرة شيطانية، فكرة أريد من خلالها إخراس زوجتي العنيدة للأبد، والاحتفاظ بهذا النجاح وحدي كونها لا تريد الصمت، لم تفهم أن الصمت حياة جديدة

قاطعته وأنا أكاد أنفجر من الغيظ

- قتلتها بكل هذه السهولة

ردّ وهو يضع يده على ذقنه

- هي لم تعرف قيمة ما فعلناه

قلت له بحقد وغضب

- يبدو أنك لم تكشف كل الحقيقة، وهناك ما تخفيه

أجابني بابتسامة باردة

- كنت أعرف أنك تملك من النباهة الشيء الكثير وهذا ما يميّزك عن غيرك.. نعم هناك من عرض عليّ مبلغًا كبيرًا في حال نجاح التجربة ونقلها لبعض البلدان الغربية، وأنت تعرف هذه الدول تقدر العلم والعلماء، بينما هنا من الممكن إعطائي لقبًا جديدًا أو ربّما مكافأة تكاد تغطّي تكاليف ما قمنا به، أو زيادة بالراتب، أو شهادة نبروزها ونعلّقها على الحائط فرحين بها كالأطفال، وبعدها يركنوني على جنب ويتظاهرون أمام الناس أنهم هم من دعّموني

المبلغ يا عليّ يفوق الخيال مع مميّزات لو جلست هنا آلاف السنين لن أحققها

هززت رأسي بأسى وقلت له

- إذن قتلت زوجتك ونقلت كلّ ذكرياتها وعقلها الباطن إلى هذا المجسّم الفائق الحسّية، وجعلت منها نسخة "روبورتية " لن يستطيع كائن من كان يكتشفها كونك تعلم جيّدًا مميّزاتها ومفاتيحها

ردّ عليّ بابتسامة النصر والزهو وهو يقول

- يعجبني بك نباهتك وذكاؤك وسرعة قراءتك للإحداث وهو ما يجعلك أحد الأشخاص المهمّين في حياتي أو بشكل أدقّ بعملي، تذكر قبل ساعتين كنت سأقول لك كلّ شيء، كنت فقط أريد متّسع من الوقت حتّى أدفن جثّة زوجتي بفناء المنزل، وإضافة بعض التحسينات على النسخة "الروبورتية" من زوجتي المستنسخة حتى تظهر لكم كأنّها طبيعية

صرخت بوجهه بكل غضب

- جبان.. رخيص.. لم أعلم أنك بهذه الدناءة

قال لي وهو يسير وعيناه على الأرض

- يبدو أنك ترفض العرض الأخير لك.. سامحني يا صديقي.. الحياة بالنسبة لك قد انتهت، كما قلت لك في البداية عرفت أشياء أكثر مما ينبغي، هذا إذا راجعت نفسك وفكّرت بموضوعية

نظرتُ له بذعر قائلا:

- هل تودّ قتلي كما فعلتَ بزوجتك

****

بعد مرور ٦ أشهر

هنا أنا الآن النسخة الروبورتية التي استنسخت من ذاكرة عليّ ووضعت بذلك العقل الصناعي الذي تمّ وضعه بذلك الجسد الذي تمّ صنعه ليتطابق مع جسده، استطعت التخلص من سيطرة العالم صالح، هذا ما يسمّونه به الآن العالم، بعد نجاحه في أبحاثه هو وزوجته المستنسخة، وها أنا الآن أذكر لكم ما حدث بعد قتلي مباشرة بتلك الليلة المشؤومة بالنسبة لي، بعدما نقل كلّ ذكرياتي وانفعالاتي وتصرّفاتي وصنع جسدًا بدقّة فائقة يشبه لحدّ كبير جسدي الذي قتله صالح حتّى يخفي جريمة قتل زوجته ويكمل مشواره في تحقيق مآربه، لم أستطع وقتها الهروب من قبضته واستطاع إزهاق روحي وبعدها قام بدفن جسدي مع جسد زوجته بقبر واحد بفناء منزله في الأحمدي، غبت وقتها عن أهلي لمدة أربعة أيام ادّعيت من خلالها ارتباطي بسفر مباشر، وهي الفترة التي استطاع من خلالها الوغد صالح تجهيز خطته الشيطانية، بعد أن سيطر علي بشكل كبير ومذهل كنت أعرف جيدا أنني مسيّر بالكامل وليس مخيّرا لكن لم تكن لدي أيّ حيلة وقتها، وبعد شهرين استطعت الهروب من سيطرته نعم هربت منه بطريقة ذكية، لم يدرك صالح أن هذا العقل الصناعي يستطيع التفوق على نفسه وعلى من يتحكّم به كونه عقلًا يستطيع التطوّر ويرفض السيطرة من خلال اندماجه مع أفكار صاحبه الأول ونمط ذكائه، كل ما أحتاجه الآن هو الذهاب لبيت صالح من أجل حفر القبر وتبليغ الشرطة من أجل كشف كلّ هذه الحقائق.

انتهت القصة إلى هذا الحدّ يا صديقي العزيز، لم أعرف هل تمّ القبض على العالم المجنون صالح أم لا، كلّها أمور لم أجد لها إجابة واضحة وصريحة، كون والدي لم يهتمّ بتلك التفاصيل واهتمّ كثيرًا بتلك التجربة، القصّة يا صديقي غريبة وتفوق العقل البشري، هل من الممكن في المستقبل استنساخ بشر إلكترونيًّا ؟ أتمنّى أن أكون وصلت لك الفكرة بشكل واضح، وهذا كلّ ما قرأته في تجربة والدي الأولى، وهناك تجارب أخرى سأنقلها لك في الرسائل القادمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خَلفَ الخَوف

الحُبُّ شيءٌ والحقيقةُ شيءٌ آخر

تردّدت كثيرًا قبل مراسلتك، فالقصّة التي حصلت لي، ربّما لن تكون من ضمن نطاق قصصك، وبالوقت نفسه ممكن أن تكون ذلك نظرًا لما حصل فيها من أحداث، نوعا فيها من الغرابة الشيء الكثير إضافة إلى الأحداث المتسارعة التي نادرًا ما تحدث، والقصة التي ستقرؤها حدثت بكامل تفاصيلها لي، وأنا البطل الحقيقي لكلّ أحداثها، ربّما هي بعض الشيء مؤلمة كثيرًا من ناحية بعض التفاصيل، لكنّي قرّرت إرسالها لك لعلك تنشرها في حسابك الشخصي حتّى يقرؤها ويستفيد منها البعض، لن أزيد في البداية حتى لا أحرق الأحداث التي حصلت في القصّة كلّ ما في الأمر أريد أنا أقول شيئًا واحدًا، إذا تغيّرت للآخرين لن تحدث أيّ تطوّر لك، فقط تغيّر من أجلك، فالحبُّ شيء والحقيقة شيء آخر، ومن خلال هذه الحكاية أريد توضيح المعاناة الكبيرة التي يتجرّعها أصحاب الأوزان الثقيلة، ومعاناتهم شبه اليومية مع المحيطين بهم

إليك الآن أحداث القصة التي حصلت لي.

لك أن تتصوّر حجم اليأس الذي ينتابني الآن، لك أن تتصوّر كمية الألم الذي أتجرّعه بهذه الساعة، يبدو أنك لا تشعر بما أقوله أو أعانيه، هذا أمر عاديّ لأنّي أنا الآن ضحيّة تلك الحكاية.

لا أريد الإطالة فأنا إنسان مباشر، وأكره المقدّمات الطويلة التي ربّما ستشعرُك بالملل بعض الشيء

قصّتي بدأت منذ ستّة أعوام بالتحديد في العاشر من يناير ٢٠١٣، بعد فترة ضياع بدأت معي منذ نعومة أظافري.

تعال قليلًا أريد أن أصف لك شكلي، فأنا مجموعة من الشحم واللحم اجتمعت في جسد واحد، تخيّل أنك تشاهد ثمرة الكمثري لكن بشكل عملاق ولها قدمان ويدان وتسير على الأرض هذه صفات جسدي الأولية، لا تعرف ما هي ملامح وجهي أو جسدي، لك أن تتخيّل ذلك الأمر، أعرف جيّدًا أنّك لا تعرف معاناة البدن خاصّة عندما يريدون التحرّك، أو الألم النفسي الذي يصيبهم عندما يرون أجسامهم قد استعمرتها تلك الأشياء المنفوخة التي تطلب منّي فقط أن أملأها كيفما شاء من جميع الأصناف، وشهيّتي المنفتحة لكلّ شيء من الأطعمة التي تراها أمامها.

لا أعرف بالتحديد متى بدأت المعاناة لأنّي وقتها كنت صغيرًا لا أدرك شيئًا، الذي أتذكّره شيء واحد، هي جملة والدتي.

- لم نعرف كيف نسيطر عليك كنت ذا شهيّة مفتوحة

لا أذكر الأمر بتاتا، لكنّها كانت تعيد هذه الجملة دائمًا على مسامعي، كانت تقول إنّني من النوع الذي يشتهي كلّ شيء على المائدة، ولا ترفض طعامًا ما

حاولنا أنا ووالدك كثيرًا، ولم نجد أيّ طريقة لكبح جماح حبّك للطعام

كان أبي يظنّ مع مرور الزمن سيتغيّر الوضع، بعد دخولي المدرسة، والاحتكاك مع الأولاد الذين بمثل عمري، وتزداد حركتي بسبب اللعب والركض، ومن الممكن أن تتغيّر ملامح جسدي

فهو يقول كنت بدينًا عندما كنت بعمر راكان، لكن بمجرد أن دخلت المدرسة تغيّرت الأمور وبدأ جسدي بالتناسق بسبب الحركة المستمرة مع الصبية.

انتظر أهلي ويا ليتهم لم ينتظروا، توقّعات والدي كانت كلّها غير دقيقة، بل ازداد الأمر سوءًا عند احتكاك بالطلاب.

كما قلت لكم كنت كتلة دائرية تسير مشبعة باللحم والشحم، والتي على أثرها أصبحت وجبة جميلة للسخرية لجميع الطلاب بالمدرسة، فكل تلميذ عندما يشاهدني ويريد أن يبيّن للجميع مجموعة مهاراته "بالتنظز" والتنمّر عليّ، يريد الإثبات للجميع أنّه لن يقدر عليه أحد وهو ملك الفكاهة، بالمقابل أنا أكون الضحية

تعلم جيدا أنّ أيّ طالب بمثل سنّي لن يرضى بهذا الأمر وبالتحديد عندما بدأت أدرك الأشياء من حولي بشكل جيد، خاصّة أنها مرحلة مهمّة من حياتي مرحلة تكوين الشخصية، فكنت أدخل في العديد من المشاجرات مع الطلاب، وهناك العديد من المرّات التي تمّ من خلالها استدعاء ولي أمري، بسبب التنمّر الكثير الذي أحصل عليه، فالطلاب ينتهزون أيّ فرصة من أجل إشباع نقصهم وإظهاره عليّ، والنتيجة علقة ساخنة، نهايتها تكون عند غرفة مدير المدرسة

دقيقة أريد أن أقول شيئًا مهمًّا، البدانة ليست سيّئة بكلّ شيء، بل يوجد بها بعض المحاسن الجيدة، فضخامة الجسم كانت تساعدني كثيرا في حسم المعارك لصالحي إلا واحدة

كنت أظنّ أنّ الأمر سهل، أيٌّ منهم يبدأ في استظراف دمه فسيأخذ علقة ساخنة، ودائمًا ما كنت أفوز بالأخير، وهذا ما كنت أتوقّعه دائما، لكن واحدة من هذه المعارك غيّرت نظرتي وجعلتني أفكّر مليًّا، فأيّ معركة سأخوضها مستقبلا.

عندما قام أحدهم بإطلاق تلك الألقاب المعتادة التي تقال على أصحاب الأوزان الثقيلة، ولم يصل إلى هذا الحدّ بل تعدّاه عندما قام ذلك الولد في

إلصاق ورقة خلف ظهر وكتب عليها "فيل للبيع"

وبعد اكتشاف الأمر جنّ جنوني، بل رحت مثل الدبّ الهائج أبحث عن هذا الوغد

لتفاجأ به وبكلّ جرأة يقول ذلك الوقح إنه هو من قام بإلصاق الورقة على ظهري، طبعا كما قلت لكم كانت المشاجرات تنتهي لصالحي.

اعتقدت في البداية أن الحكاية انتهت مثل سابقاتها، وهذا الولد عرف حدوده معي، لكنّ الموضوع تعدّى هذا عندما وقفت أمام مدرستي بعد نهاية الدوام أنتظر وصول أبي، لأتفاجأ بذلك الوقح قادم ومعه مجموعة كبيرة يتعدّون العشرة أشخاص، وهو يقول لأكبرهم بعد أن مدّه سبّابته ناحيتي..

- هذا من ضربني اليوم بالفصل

كنت أقف بكامل شحمي ولحمي أنظر لهم بعيون قلقة ومرتبكة، مترقّبا ما يحدث، ثوانٍ حتّى اقتربت المجموعة جميعها مني، ودون أيّ مقدّمات انهالت عليّ بالضرب بالعصي، وبكلّ ما تحمله أيديهم، طبقت عليّ نظرية الكثرة تغلب الشجاعة بكلّ حذافيرها، فأصبحت بموقع الدفاع أتصدّى لكلّ الضربات من كلّ ناحية، محاولا تداركها، لكنّها كانت كثيرة، فتارة أشعر بها على رأسي وتارة على كتفي وتارة على قدمي حتى سقطت على الأرض، ليكملوا حفلتهم الشهية بالركل والرفس، ولولا تدخّل والدي الذي ناله بعض من الضرب لكنت وقتها مدفونًا في مقبرة الصليبيخات

إلا أن القدر رحم بي قليلًا وجعلني أرقد بغرفة الإنعاش لمدة أسبوعين بسبب كم ضربة جاءت على رأسي

أصبحت هذه المشاجرة حديث المدرسة بالكامل، لأني بعدها غبت فترة طويلة، ووصل الأمر إلى أقسام الشرطة والمحاكم.

وعندما عدت مرة أخرى للمدرسة كان الأمر مختلفا بتاتا، أتذكر وقتها كنت في الرابع الابتدائي، أو ما يسمونه الآن الصف الرابع، هذه الحادثة بقيت عالقة بذهني، ومن الصعب نسيانها، لأنها شكّلت منعطفا كبيرا بحياتي، جعلتني أنطوي على نفسي أبتعد عن الجميع دون تردّد، وهو ما زاد الأمور سوءًا لتنعكس بالسلب على جسدي الذي أصبح يزداد ويزداد، بسبب العزلة التي حبست نفسي بها، بعد هذه الحادثة تغيّر كلّ شيء في حياتي، أصبحت لزيم البيت، لا أخرج منه أبدا لأيّ مكان مهما كانت الظروف، فقدت ثقتي بالجميع

حتّى بالمدرسة اعتدت على تلك الكلمات التي اسمعها ما بين الفينة والأخرى "الدب" "البطة" "بوتمبه" أصبحت لا أبالي أو حتّى إنني أنفعل من أجل تلك النكات التي صارت معتادة في حياتي أو بمعنى أدق صارت جزءًا منها، أو ربّما

هو الخوف من ردّة الفعل التي ستحصل، خاصة بعد العلقة الساخنة التي أخذتها وكادت إزهاق روحي، هو ما جعلني أتصرّف على هذا النحو

رغم هذا كلّه كانا والدي يحاولان بشتّى الطرق إدماجي مع الناس، من خلال حثّهم المباشر أو غير المباشر، لكنّي كنت أفشل فشلا ذريعا في ذلك

أصبحت طقوسي المعتادة هي العودة من المدرسة، والجلوس على تلك الأريكة التي اعتادت بشكل كبير على وزني الثقيل، و أعتقد لو أنها تمتلك لسانًا لاشتكت هي الأخرى من بدانتي الكبيرة، ومشاهدة التلفزيون أو الأفلام، طبعًا الحلويات والسكاكر ورقائق البطاطا والوجبات السريعة أصبحوا جزءًا آخر لا يتجزّأ من حياتي، ربّما هي الوحدة من جعلت شهيّتي مفتوحة لهذا الحدّ، أو الكآبة التي أعيشها دون رفاق، الإنسان بلا صديق كالطير بلا شجرة

كبرت وكبرت معي تلك الأشياء، لا أصدقاء فقط هي الوحدة والملل، طبعا كنت في قرارة نفسي أرفض هذا الوضع كوني بلا رفاق، صدّقني الأمر جدّا صعب بسبب عوامل نفسية كانت أحد أسباب كلّ علاقة قصيرة أحاول بنيانها مع أحدهم لكن صداقتي عمرها قصير جدًّا تنتهي قبل أن تبدأ، أصبحت أغلب الوقت أقضيه بالخروج وحيدا، أو الذهاب للسينما بعض الأحيان، حتّى المناسبات الاجتماعية أصبحت حملًا ثقيلًا عليّ وهجرتها مثل الآخرين، والداي فقدا الأمل وصارا فقط يراقبان الأمر من بعيد

طبعًا نظرات الناس بالخارج هي الأخرى لم ترحمني بسبب هذا الجسم الضخم الذي يتحرّك بشكل غريب وهي ترمقني وترسم على شفائهم ابتسامات ساخرة، بعدما ترى تلك الترهلات التي تبرز من بين الملابس وترتج مع كلّ خطوة، لا تظنّ الأمر هيّن بل هو مؤلم بشكل كبير، خاصّة عندما تقرأ تلك النظرات ولا تجد أيّ سبيل للردّ سوى ابتلاعها بهدوء وأنت تتقطع من الداخل، لا أخفي عليك أصبحت إنسانًا حاقدًا على المجتمع وأكرههم بشدة، أريد أي فرصة للردّ عليهم الصاع صاعين، أنتقم منهم لأنهم طردوني من هذه الحياة لشيء لا دخل لي فيها بل هي الأقدار التي وضعتني بهذا المكان، وجعلت جسمي بهذا الشكل يستقبل كلّ شيء، وينتفخ بسرعة لا مثيل لها

أعلم الآن أنت تسأل لماذا لم أقم بأيّ حمية، نعم لقد قمت بذلك، إلا أنّ كلّ الحميات الغذائية أو التمارين الرياضية باءت بالفشل بسبب ضخامة جسمي، والسيطرة الكبيرة على الشحم واللحم عليه، إضافة إلى أنّ وزني ينزل من خلال هذه الحميات كيلو أو اثنان وربّما ثلاث، لكن إرادتي الضعيفة لم تسعفني كثيرا، إضافة إلى اليأس الذي ينتابني بسبب عدم وجود نتائج سريعة، وأعود مجدّدًا لهوايتي في الأكل، وأرجع جميع الكيلو غرامات التي فقدتها مرة أخرى

بلمح البصر، الجسم الإنساني غريب أشبه بالرجل العنيد البغيض الذي يتعمّد فعل أشياء تغيظ صاحبه وهو يعلم إنه لا يحبّها

وصلت الآن سنّ السادسة والعشرين من عمري، ولم يتغير أي شيء في حياتي، بل حتى إنني فقدت الأمل في الزواج، لأنه من غير المعقول لأي فتاة ترضى بي كوني لا أملك أي صفة من صفات الجمال إضافة إلى أنّ الشحم يغطّي كل ملامحي حتى لو كانت هناك وسامة، لا بدّ أولًا إزاحة كل هذه الشحوم التي تغطّي كل ملامح وجهي، وطبعا بهذا العمر أي قلب إنسان يلحّ على صاحبه من أجل أيجاد شريك له والعيش في قصّة حبّ حالي حال الآخرين، ربّما تأثري بكثرة الأفلام التي أشاهدها كانت سببًا وراء هذا كلّه

الحياة لا تنتهي، وهي متغيّرة دائمًا، ومن المستحيل بقاؤها على روتين واحد، وهذا مبدأ لا بدَّ على الجميع اتّباعه، لأنه هناك أبواب دائما ما تفتح بالخفاء لكنّنا نحن من نغض البصر عنها

عصر التكنولوجيا السريعة كان أحد هذه الأبواب التي فتحت لي، بعد الاختراع الرائع الذين يطلقون عليه بالإنجليزية "تويتر" وبالعربية موقع تواصل الاجتماعي ذلك الطائر الأزرق الذي جاء وأعطاني سلاحي الذي أنتقم به من كل هؤلاء البشر.

هذا البرنامج أصبح نافذتي على العالم، بل هو الطريقة المثالية التي من خلالها التلصّص على العالم من دون أن يتلصّصوا عليّ، ودون النظر لجسدي والتنمّر عليه، دون أنّ ضربي بسياط نظراتهم الجارحة أو ابتساماتهم البغيضة والخفية

في البداية عملت حسابًا باسم مستعار فأنا لا أريد أن يعرفوا شخصيّتي وما هو شكلي، لأنه البرنامج يتيح لك الحرية في عمل كلّ شيء دون رقيب أو حسيب

كنت أدخل لهذا العالم بسهولة كبيرة، وأتناقش مع العالم دون أيّ سخرية، حتّى اكتشفت أنني أملك موهبة رائعة في الردّ والإفحام، بعدما كنت أنا الفريسة السهلة للسخرية، أصبحت في "تويتر" الصيّاد الذي يبحث عن فرائسه، لا أخفي عليك لم أرحم أيّ فريسة، كنت مبدعًا في السخرية والتندّر، أصبح الجميع يهابني ويخاف من لساني الإلكتروني السليط.

ازداد عدد متابعيّ بشكل غير طبيعي، حتّى صرت الأشهر ما بين الحسابات، لا يمرّ يوم حتّى أضرب هذا و أعلّق على هذا، وأشتم هذا، لا تعرف مدى السعادة الكبيرة التي اجتاحتني فالقدر يقدّم لي خدمة رائعة حتّى أنتقم من

هؤلاء البشر بطريقتي الخاصّة دون أن يجرحوني حتّى، الأمر في غاية السهولة والجمال

ليلَ نهارَ وأنا ممسك بهاتفي النقّال، أتابع بدقّة عالية كل ما يحدث بهذا العالم، الناس بدأت تنسج عنّي الحكايات لأني لا أكشف عن هويّتي الأصلية، منهم من يقول إنني مقرّب من أحد الشخصيات الكبيرة في البلد، والآخر يقول إنني طبيب نفسي، وبعضهم وصل بهم الأمر يقول إن هذا الحساب يديره أكثر من شخص، إضافة إلى أنهم جعلوني ذبابًا إلكترونيًّا وأتقاضى أجرا على كل تغريده سواء بالتلميح أو المباشرة، الكثير من الشائعات التي خرجت عليّ، حتّى إن الصحافة يوما ما كتبت عنّي

كنت أفرح كثيرا بهذا الاهتمام الذي طال انتظاره، الاهتمام المصطنع والنجاح المزيّف الذي يخفي كلّ العقد النفسية التي خبّأتها من وراء جهاز صغير، وهذه الانتصارات التي لم أكن أتصوّر في يوم من الأيام أني سأحقّقها، أو المكانة الاجتماعية الكبيرة التي بلغتها، حتى نفسيّتي بالبيت تغيّرت وهذا ما لاحظه والدي

أنتقم إني أنتقم، هل جرّبت يومًا لذّة الانتقام!!؟؟

يبدو أن حكايتي إلى الآن عادية بالنسبة لك، أتمنّى منك الانتظار فالجانب المهمّ منها ستقرؤه في الأسطر المقبلة

مرّ عام كامل وأنا أعيش في عالم التويتري الجميل، ومثل ما قلت لك من الصعب الحياة تسير على نمط واحد، فالمنحنيات فيها كثيرة وخطيرة، تلك الليلة كنت أقبض على أحد الفرائس وألقنها درسًا من دروسي التي اعتدت عليها، بل جعلته "فرجة" كما يقولون عنها لجميع متابعيّ، وكلهم يسخر منه

كنت على وشك إغلاق الهاتف والذهاب للنوم كما هي طقوسي، وما لفت انتباهي تلك الرسائل الخاصّة التي انهالت عليّ كالمطر

كانت من إحدى متابعاتي، التي بدأت تحاول توبيخي عمّا فعلته بذلك الشخص، وأن هذه الطريقة على حسب كلامها غير صحيحة، وتؤذي الآخرين، ولا بدَّ من احترام مشاعرهم

آه لو تدرين كم الناس بالسابق الذين لم يحترموا مشاعري! فهذه فرصتي ولا أريد تفويتها.

وكما هي طريقتي في التعامل مع مثل هؤلاء، كنت لا أردّ وأتجاهل رسائلهم، ومن ثَمّ، أغلقت الهاتف وذهبت للنوم، وعندما صحوت وجدت أكثر من ٣٠ رسالة منها، يا إلهي ماذا تريد هذه الفتاة منّي؟

طبعًا آخر الرسائل كانت هي عبارة عن بعض الشتائم المؤدّبة، وتطلب منّي الردّ على رسائلها، وتغيير أسلوب تعاملي مع الآخرين

لم أكترث بل قمت بمسح كل ما ترسله إليّ، حتّى إنّني أعطيتها حظر حتّى لا تزعجني في المرّات القادمة، إنّها تطلب منّي التخلّي عن لعبتي المفضّلة كم هي مضحكة!

مرّ اليوم بشكل اعتياديّ إلا من تلك، صاحبة الرسائل المزعجة، التي شغلت بالي قليلا، حتّى الساعة الرابعة مساء اليوم نفسه، عندما رنّ جرس هاتفي، وهي المرة الأولى التي يرنّ بها برقم غريب، وكعادتي لا أردّ على تلك الاتصالات، لأنني كما تعرف لا أملك أيّ أصدقاء، أو أتواصل مع أحد، سوى تلك الشركات التي أتعامل معها فقط، وكل أرقامها محفوظة لدي

الاتصال تكرّر كثيرًا، والهاتف كان يرنّ بشكل مزعج، أغاظني لدرجة وقتها تمنّيت لو أحطّمه، لكنّ الفضول الذي بداخلي يلحّ عليّ من أجل الردّ لمعرفة هوية المتّصل.

وبعد سلسلة من الرنين المزعج، ضغطت على الزر الأخضر بالهاتف، وبصوت متردّد قلت

- نعم، مَن المتّصل

لم أجد إلا وذلك الصوت الناعم الذي اندفع بكلّ قوة

- إنك إنسان عديم الإحساس وغير مبالٍ

بصراحة ارتبكت كثيرًا من هذا الهجوم المفاجئ، ولم أجد إيّ طريقة للردّ، فكما تعرفني لست من النوع الذي يحبّ المواجهة المباشرة، ومتخصّص فقط بالردّ من وراء الشاشات الصغيرة

جمعت بعضًا من الثقة القليلة لديّ وتخيّلتها أحد المتابعين وقلت..

- مَن المتّصل لو سمحتِ

قالت بعد استغرابها من ردة فعلي

- لم أعرف أنك مهذّب لهذه الدرجة

رددت بهدوء مرتبك بعد صمت قليل

- برجاء تحدّثي بأدب، فأنا حتّى الآن أتعامل معك بكلّ احترام

ردّت بسخرية مع ضحكة صغيرة

- أنا التي راسلتك أمس بتوتير وتجاهلتني بكلّ وقاحة كعادتك

هنا حصلت المفاجأة، انتابني شعور بالخوف، لم أعرف كيف أتصرّف، لم أجد نفسي سوى وأنا أغلق الهاتف بوجهها

بدأت أنظر إلى الهاتف بخوف وارتباك، كان الأمر بالنسبة لي مصيبة، كيف عرفت هذه المجنونة رقم هاتفي.

لتمرّ بعدها دقيقتان ليرنّ الهاتف مجدّدًا، انتفض جسدي مرة أخرى، رحت أشخر من الغيظ

يا إلهي هذه المجنونة لا تتوقّف، استمرّت بالاتصال أكثر من ساعة، مرّت الساعات كأنّها الدهر، والهاتف لا يتوقّف عن الرنين

لأقوم بعدها في إغلاقه، يومها لم أدخل "تويتر" مجدّدًا بقيت، أقلّب الأمور برأسي، كيف؟، ومتى؟، وما الطريقة التي استطاعت من خلالها الحصول على رقمي؟.

هل أنا مراقب من شخص ما!!!

مضى اليوم كلّه وأنا مرعوب، لا أعرف كيف أتعامل مع هذا الحدث، حتّى إنّني لا أملك أحدًا لأستشيره بمثل هذا الموقف الصعب، الحياة للمرّة الأولى تضعني بموقع المواجهة.

مرّ يومان على هذه الحادثة، وأنا أعيش حالة من الذعر حتّى إن عيني لم تذق طعم النوم من يومها، وطبعا الاتصالات لم تتوقّف، بمجرد فتح الهاتف يبدأ بالرّنين، الأمر وصل إلى مرحلة كبيرة من عدم الاحتمال وفكّرت مليًّا وقلت إلى متى وأنا أتهرّب لا بدّ من وضع حدّ لهذا كلّه.

وقتها عزمت فتح الجهاز وانتظار الاتصال، وكما توقّعت بمجرّد فتح الهاتف حتّى بدأ بالرنين، كانت يدي ترتجف وهي تمتدّ للردّ على هذا الاتصال، لا أعلم لماذا كنت خائفًا مع إنّ كلّ ما في الأمر أنّ المتصل هي فتاة لا أعرفها ولا تعرفني.

بكلّ قوة ضغطت على الزر الأخضر وقلت لها بشجاعة مزيّفة

- أنت لا تملّين ولا تكلين ماذا تريدين؟

ردّت بعد أن أطلقت زفرة طويلة

- إلى متى وأنت تتجنّب الردّ، كلّ ما أريد قوله لك هي نصيحة حتّى لا تقع في المحظور

قلت لها بعصبية حادّة

- شكرًا على النصيحة التي ستقولينها، وتأكّدي أنّني لم أفعل شيئًا يضرّ أحدًا

ردّت بغضب واضح

- كل هذا ولم تضر أحدًا إنك تكاد تقتل الناس بأسلوبك الجارح وطريقتك الوقحة، فهم أولًا وأخيرًا أرواح تشعر وتتألّم، ولا تدري مدى الأثر الذي ستتركه في نفسيّتهم

صمت قليلًا قبل الردّ عليها بطريقة عصبية بعدما بدأت تخفّف حدّة أسلوبها

- صدّقيني.. لن أتغيّر من أجل كلمتين قلتيهم لي، ولن أتغيّر من أجل الناس، وإذا سنحت لهم الفرص بالردّ عليّ، فلن يتردّدوا كثيرًا، هذه هي الحياة قوة وضعف ولن أختار الجانب الأضعف، وإذا فكّرت بالتغيّر، فسأتغيّر من أجلي

ثم راحت تلك الفتاة تحاول إقناعي بشتّى الطرق عن الابتعاد عن هذا الأسلوب، طبعًا كنت أسمع وأردّ عليها بحجج واهية، لكنّي فطنتُ إلى سؤال كان لا بدَّ من الإجابة عنه قلت لها قاطعًا حديثها بطريقة فجّة ’ كونه أهمّ الأسئلة التي لا بدَّ من معرفة إجابتها.

- لحظة تعالي ،، من أين عرفتِ رقم هاتفي؟

صمت.. محاولة تدارك الموقف وقالت بطرقة مرتبكة

- أنت تعرف أن الكويت صغيرة وبالاستطاعة الوصول إلى كلّ شيء بسهولة

لم تكن الإجابة مقنعة، صمت قليلا، وبعدها أغلقت الهاتف بعد محادثة دامت نصف ساعة، ما بين نصيحة وإلحاح منها، وتهرّب منّي، بينما في الوقت نفسه كانت هناك نوع من الراحة الغريبة التي تحتاج صدري، بسبب كلامها و أسلوبها الساحر والجميل وصوتها الهادئ الدافئ.

يومها كله وأنا أتذكر صوتها الذي ظل نبرته ترن في أذني كأنه غيمة صغيرة أمطرت بهدوء على أرض عطشانة، لم أعد أتحمّل أكثر من ذلك، ورحت أنظر لرقم هاتفها بجهازي، لا تصدّقون كم تمنّيت الاتصال بها وإكمال الحديث معها، بعدما كانت اتصالاتها مصدر قلق وإزعاج، بلحظة قرّرت نسيان الأمر وعدم التعلّق كثيرًا بها، كون الأمر مجرد اتصال عابر، ولربّما لن تعاود تكراره

لا لا أريد التفكير كثيرًا بذلك وطرد تلك الفكرة التي تجول في رأسي الآن، التعلّق بها يعني بداية قصة محكوم عليها بالإعدام نظرًا لظروفي الخاصّة إضافة إلى ظروفي الجسدية.

مر يومان آخران قبل أن أجد تلك الرسالة التي جاءت على برنامج "واتس أب" الخاصّ بالرسائل، وهي ترسل إلي بنصيحة، لك أن تتصوّر الفرحة الكبيرة التي اجتاحتني وقتها، وأنا أقرأ الرسالة

رددت عليها وقلت لها شكرًا على الكلام الجميل

ثم رحنا نتبادل الرسائل عن طريق البرنامج لمدة أسبوع، وهذا الأمر لم يردعني قطّ في إكمال مسلسل السخرية اليومي الذي أعمله كل يوم مع الناس على هذا البرنامج

حتى جاء الاتصال الثاني منها، بدأ الهاتف يرنّ، كان وقتها قلبي يدقّ بسرعة غريبة، وحالة من الفرح تنتابني لم أشعر بها من قبل، يا إلهي لماذا كل هذه السعادة، هل هو الحبّ، إنّي أحمق عن أيّ حبّ أتكلّم فأنا لم أتحدّث معها سوى مرة واحدة

رددت على الهاتف بصوت مهذّب، لكنّي تفاجأت بعصبيّتها هي تقول.

- يبدو أنك لن تكفّ عن طريقتك السيّئة!!

جاوبتها محاولًا تهدئتها قائلًا

- اهدئي قليلا فالأمر ممكن معالجته بطريقة ما

راحت بعدها تحاول إقناعي بشتّى الطرق، حتّى وصلنا لذلك السؤال لماذا تقوم بهذا الأمر وما المتعة التي فيه؟

بعدها هذا السؤال عمّ صمت كبير، قطعته بجواب واحد

- ستعرفين كلّ شيء في وقته المناسب

هنا بدأ حديثنا يتغيّر وراحت تسألني واسألها، بينما الرسائل النصّية بينا لم تتوقّف، كان الأمر أشبه بالحُلم الجميل الذي تودّ عدم الاستفاقة منه، مرّ شهر كامل وانا أبوح بكلّ ما يثقل صدري لها، لكنّي لم أتجرّأ وأخبرها بأنني برميل من الشحم، كنت خائفا؛ فلو علمت بذلك، لتركتني مع أنني كنت متأكّدا من أمر واحد: بمجرد مشاهدتي ستهرب، وبصراحة لن ألومها أبدًا فلها الحقّ في ذلك

كنت أتهرّب بمجرّد طلبها محاولة رؤيتي من خلال الصور، معلّلا ذلك بقولي

لم يحن الوقت إلى ذلك

مع أنني عرفت الكثير عنها، حتى إنني شاهدت صورتها التي أبهرتني بجمالها الباهر، كنت أتحسّر من داخلي لأنّني على يقين أن هذا الحُلم سينتهي يوم ما،

بمجرّد معرفتها الحقيقة الكاملة عنّي، ومشاهدة هذا المسخ الذي لا يعرف شيئًا سوى الالتهام، صدّقني لن تشعر بالكمّ الهائل من الحزن الذي يجتاحني، أنا الذي ينتظر وقت إعدامه ويحاول التمسك والاستلذاذ بكل لحظة، فهي أصبحت الآن بالنسبة من الروح، وهذه الروح سأفقدها لا محالة

كما قلت لك كنت أكبت كل ذلك بصدري وأصمت

الحياة.. الحياة كما قلت تقدّم لك الحلول دائما كأنها تعتذر منك بكبرياء وبشكل غير مباشر، يومًا ما زارنا احد أقاربنا، ولا أعلم لماذا يومها نزلت للسلام عليه أنت تعرف عادتي جيدا أنا غير مبالٍ بهم، لكنّي صدمت عندما شاهدت جسمه، فهو كما اعرف لا يختلف من ناحية الجسم عنّي، واليوم أراه بصورة مختلفة بتاتا، أصبح بغاية التناسق، خرجت عن صمتي وقلت له

- أتمنى لو أملك الإرادة التي عندك، يبدو أنك نجحت برنامج الحمية وطبقته بالكامل

قال لي وهو يبتسم

- الأمر لا يحتاج إلى إرادة، فقط الذهاب إلى المستشفى وعمل عملية خاصّة بتكميم المعدة، وبعد ٣ شهور سترى النتائج التي ستبهرك

التفتّ ناحيته بشغف وأنا أسأله عن تلك العملية وما الأمور التي أحتاجها، طبعا أخذت كلّ التفاصيل الدقيقة وغير الدقيقة، وانطلقت لذلك المستشفى الذي قام بتكميم معدته، الطبّ تطوّر يا صديقي، كنت أسمع عن تلك العمليات لكن كنت أخاف تجربتها، كون هناك العديد منها لم ينجح، وتعرض البعض للموت المباشر بسبب الأخطاء، واليوم الوضع مختلف جدا

نعم الطبيب الخاصّ أكّد لي أنّ العملية ستنجح، وكلّ ما نحتاجه منك تحمّل بعض الآلام التي ستحدث في البداية، بسبب التغييرات التي ستحصل، وبعدها ستكون الأمور كلّها ما يرام.

يومها كنت سأطير من الفرح، وتمنّيت لو أنّي أقطف كلّ الزهور بهذا العالم وأقدّمها لها.. لحظة نسيت إخبارك اسم تلك الفتاة، إنّها فاطمة، وما أجملها من فاطمة.

قبل يومين من العملية، أبلغتها أنني سأسافر في مع والدي الذي يحتاج لبعض الفحوصات، والأمر سيطول لمدة شهر تقريبا، ومن الممكن عدم الردّ على رسائلها بشكل سريع بسبب انشغالي، سارت الأمور مثلما أردت ودخلت غرفة العمليات بعد العديد من الفحوصات، لم أكترث لشيء أو حتّى إنني أخاف من تلك الرهبة التي يقولون عنها قبل كل عملية، المهم هو الظهور بنتائج إيجابية بعد ذلك.

وبالفعل انتهيت من هذه العملية، وكما قال لي الطبيب، كل ما أحتاجه بعض التحمّل، الأيام الأولى كانت متعبة كثيرًا، نظرًا للتغيّر الذي لم يتقبّله جسمي في البداية، وحالات الغثيان الكثيرة والآلالم التي تصاحبني بعد كل وجبة، ورويدا رويدا بدأت الأوضاع تتحسن، وبدأ جسدي يتقبّل ويتأقلم مع واقعه الجديد، مرّ الشهر وشعرت بتلك التغييرات الكبيرة التي صاحبت جسمي، صحيح أنها لم تصل لما أريد، لكنّي فقدت الكثير من الشحوم، وبدأت ملامح وجهي تظهر، الخدود المنفوخة بدأت تضمر، وذلك الكرش العملاق بدأ يذوب، تضاريس جسدي بدأت تتبلور، شعور غريب ورائع بالوقت نفسه عندما يحدث كل هذا بظرف شهر، إنها بالفعل معجزة طبّية.

اليوم بالنسبة لفاطمة هو موعد عودتي من السفر، كنت مشتاقًا كثيرا للحديث معها، كنت أتمنّى لو أجرّ الساعات لذلك الموعد الكاذب، علمًا أنني لم أتحدّث معها طوال فترة كذبتي هذه، رغم قدرتي على الحديث معها.

وبمجرّد أن حانت الساعة، أرسلت تلك الرسالة على أمل أن تردّ، مرّت الساعة وبعدها ساعة وستّ ساعات، حاولت الاتصال بها، لكنّ ذلك الصوت الذي يقول لي "الجهاز مغلق أو خارج منطقة التغطية" كان كالسيف ينغرس بصدري عند سماعه.

مرّ يوم كامل دون أن تردّ فاطمة على رسائلي، المصيبة أنها لم تقرأ أي من الرسائل، وهو جعلني أعيش بحالة من القلق، بدأت جميع السيناريوهات المرعبة يتخيّلها عقلي، هل حدث لها مكروه ؟ المصيبة أنّني لا أعرف عنها أيّ شيء، ولا أرتبط بها إلا عن طريق هذا الهاتف.

استمرّ غياب فاطمة عنّي لمدة أسبوع كامل، ولم تكن هناك أيّ إجابة، سوى صوت ذلك الثقيل الذي يقول "الجهاز مغلق"

لك أن تتصوّر ذلك الحماس الكبير الذي كنت فيه بعد كلّ ما حصل، كنت أريد أن أطلب منها موعد لكي تراني وأراها، وأقول لها قصّتي بالكامل، دائمًا كنت أقول يا لي من قليل حيلة، لا أعرف تدبير أموري، لا أملك أيًّا من الخبرة الاجتماعية، كوني حبست نفسي طوال السنين في بيتي لم أحتكّ مع أيّ من البشر، وها أنا الآن أحتاج لها، أريد طريقة لكي أتواصل معها.

يبدو أنّ الوَحدة هي عشيقتي التي لا ترغب الابتعاد عنّي، وهي نصيبي من هذا القدر

ذات يوم وبينما أنا جالس أشاهد التلفاز، سمعت طرقات على باب غرفتي، إنها الخادمة، كنت أظنّ أنها جاءت لكي تخبرني عن شيء، لكنّي تفاجأت

عندما أعطتني ذلك الظرف الأبيض الذي يوحي لك للوهلة الأولى على أنها رسالة

لحظة إنها بطاقة دعوة، أمر غريب بالفعل من الذي يدعوني إلى حفل زفافه، يبدو أنّ المسألة فيها شيء خطأ، فأنا كما تعرف لا أزور ولا أتواصل

فتحت الظرف، وعندما قرأت كانت دعوة تقليدية، يكتب بداخلها أفراح فلان على كريمة فلان، وبعدها تأتي الدعوة بشكلها الكامل والمعتاد، وما لفت نظري أن العروس اسمها فاطمة، لحظة هل يقصد بهذه الدعوة أن حفل الزفاف لتلك الفتاة التي حدثتني في وقت سابق وتعلّق قلبي بها، بدأ قلبي يخفق بشدّة، راحت الأشياء داخله تتبعثر، يا لَه قلبي الزجاجي أشعر به يتفطّر من الداخل إنه على وشك التحطّم

مددت يدي مرة أخرى إلى الظرف، لأتفاجأ مرة أخرى بورقة داخله، يبدو أنّها رسالة هذه المرة، فتحتها بهدوء ويداي ترتجف، لأنصدم بما مكتوب داخلها، إنها بالفعل فاطمة تلك الفتاة التي أحبّها قلبي بصمت، بينما كان محتوى الرسالة كالتالي

صديقي العزيز،، راكان

أتمنّى أن تكون بصحّة جيّدة وأنت تقرأ هذه الرسالة، لا أعرف كيف أبدأ لأنني لست متخصّصة في كتابة هذه الرسائل، ومن الممكن أن أبدو لك سخيفة بعض الشيء بسبب الطريقة القديمة التي أتبعها معك في المراسلة، أعتقد عند نهايتك من القراءة ستعرف لماذا اتبعت هذه الطريقة

عزيزي أنت إنسان رائع وصاحب أسلوب مميز، على عكس ما توقّعت تخفي بداخلك شخصية جميلة، لكنّك انطويت على نفسك وحرمت الناس منها، صدّقني لقد قضيت معك وقتا جميلا ورائعا، لكنني شعرت بعض الشيء أنك بدأت تتعلّق بي، وهو الأمر الذي جعلني أشعر بالخوف كثيرًا كوني كنت فتاة مخطوبة وقتها لكنّي فضّلت عدم إخبارك، شعرت في البداية أن هذا الأمر غير مهمّ، كون علاقتنا تعتبر صداقة لا أكثر ولا أقلّ

إلا أن الأحداث تطوّرت في الأيام الأخيرة وأحسست بعواطفك الجيّاشة التي بدأت تتدفّق عبر الهاتف أو عبر تلك الرسائل التي كنت تبعثها لي، لا أخفي عليك أنا –أيضا- كدت أن أميل لك، لكن ما الفائدة أنت دخلت حياتي بوقت متأخّر، وأنا عزمت الأمر اخترت نصيبي من هذه الحياة، رغم أنني كنت وقتها أحاول وضع حدّ لهذا كلّه لكنّك سبقتني وقلت إنّك ستسافر لمدة شهر، أعتقد إنها فرصة مناسبة لإعادة التفكير وعودة الأشياء لمواضعها الطبيعية، وهذا ليس معناه أنك ستقف عند ذلك، فأنت إنسان مميز ورائع، وأعتقد أن

التغييرات التي حدثت لك مؤخّرًا ستساهم بشكل كبير ورائع في اختيار شريكة مناسبة لك وربّما ستكون بحالة جيّدة مع غيري، لا تتقوقع على نفسك، فأنت الأفضل ولديك الكثير، وربّما تجد إنسانة أفضل منّي بكثير

بالأخير بما أنك صديق عزيز، ففضّلت دعوتك على غير العادة المتّبعة عندنا أو موجودة في أعرافنا لحفل زفافي، وأتمنّى أن تكون من ضمن المدعوّين فصدّقني هذا الأمر سيسعدني كثيرًا

اعلم أنني إنسانة فضة ووقحة بدعوتي هذه، لكن أريد أكون معك واضحة وصريحة، وأتمنّى -أيضا- الابتعاد عن طريقتك تلك التي تتبعها في برنامج الطائر الأزرق

سامحني يا راكان فأنا مثلك أملك قلبا وروحا وفي الوقت نفسه هناك إنسان اخترته قبل وجودك في حياتي

انتهت الرسالة على هذا النحو، جعلتني في حالة يرثى لها، بعد هربت دمعتان من على خدّي، يا لي من أحمق كبير، كيف أتعلّق بفتاة لم أعرف نوعية مشاعرها ناحيتي، أو حتّى أصارحها بما في قلبي، كلّ ما في الأمر مجرّد تبادل إعجاب، وها أنا الآن أقع في شرّ توقّعاتي الخائبة

كنت جالسًا على تلك الأريكة التي كانت تئنّ من جسمي سابقا، أتحسّر على ما فات.

لحظة هناك أمرٌ غريبٌ نوعًا ما في تلك الرسالة، لا من غير المعقول أن يكون التفكير الذي حطّ على رأسي الآن صحيح.

تعالوا نتابع الأحداث من البداية، الفتاة دخلت حياتي فجأة من دون سابق إنذار عن طريق الهاتف، هناك سؤال لم أجد له إجابة من البداية، كيف عرفت فاطمة رقم هاتفي؟!!

ومن خلال تلك الرسالة التي أرسلتها قالت لي إنّ التغييرات التي طرأت على حياتي مؤخّرا ستساهم في اختيار شريكة حياتي.

كيف عرفت -أيضًا- أنّ هناك تغييرات طرأت على حياتي؟!، علمًا أنني لم أخبرها بأيّ شيء عن جسمي وبدانتي أو تلك العملية التي أجريتها، هناك أمر غريب بالفعل !!

هناك أمر واحد فقط هذه الفتاة تعرفني جيدا، وربما لديها معلومات كافية عن حياتي

بدأت أقلّب الموضوع برأسي من جديد، بعدها ذهبت للخادمة وسألتها، من أعطاك الرسالة

- قالت إن والدتي هي من سلمتها هذا الظرف

مممم غريب والدتي معقول.. كيف ذلك أكاد أُجنّ، أعتقد هناك حلقة مفقودة من هذا كلّه

اقتربت من باب غرفة والدتي بكلّ هدوء وكان وقتها لم يغلق بشكل جيد، وقبل أن أطرق الباب، كانت هي تتحدّث على الهاتف، والجملة التي سمعتها بشكل مباشر

- هو الآن يقرأ الرسالة، شكرًا لك على كلّ ما قمت به

لا مستحيل كم أنا مغفّل وغبي، وأكملت بعدها

- اعتقد أنّ راكان بحال أفضل ونسيانه لك مسألة وقت

لا.. لا.. أنا الآن فهمت كلّ شيء

فتحت الباب على مصراعيه بشكل مفاجئ، لتغلق والدتي بسرعة كبيرة الهاتف متداركة الموقف وهي تقول بارتباك

- لماذا تنظر بهذي العيون الحمراوات، لا تعرف أن تطرق الباب قبل الدخول

كانت وقتها تحاول إخفاء ارتباكها، لكنّي قلت لها

- قولي لفاطمة شكرًا على كلّ ما فعلته، أعتقد أنكما نجحتا في تغييري

ثم رحت أبكي بحرقة وأنا أخفي وجهي ما بين كفّيّ

اقتربت والدتي منّي وهي تحاول تهدئتي، وتقول

- لم أجد سوى هذه الطريقة، صدّقني من الصعب أن أراك وأنت مستسلم لهذه الحياة، وتعيش بعزلتك، لا أنا ولا والدك سنكون باقيَين معك طوال الحياة، سيأتي يوم ونرحل بعدها ماذا ستفعل، كلّ اعتمادك في السابق علينا، وبعد رحيلنا من الممكن أن يحصل لك شيء، وأنت بالأول والأخير إنسان تحتاج لتعيش حياتك بشكلها الطبيعي، تتواصل مع البشر، تعيش معهم، تتزوّج وتكون لك أسرة. بقاؤك بغرفتك سيدمّرك ويجلب لك الأمراض

فلم أجد إلا هذه الحيلة، التي أنت الآن ترى نتائجها الباهرة، الإنسان لن يتغيّر إلا إذا كان هناك هدف يسعى إليه، وفاطمة كانت هذا الهدف الذي دخل حياتك، وحرّك فيها المياه الراكدة

آسفة يا حبيبي، أعلم جيدا أنّ الحقيقة مرّة، لكن تأكّد هذا كلّه ينصبّ لصالحك، وانظر للتغيير الكبير الذي جرى لك

رحت أنظر لها بعد أن جفّت دموعي، بالفعل كان درسًا قاسيًا ومفيدًا، خرجت ولم أتفوّه بكلمة واحدة، وبقرارة نفسي أعلم أنّ والدتي كانت تريد مصلحتي

آه، لك أن تتصوّر أنّ الحِمل الثقيل الذي كان يجثم على صدري قد انزاح، بعدما انكشفت جميع الحقائق أمامي بسرعة كبيرة

لا أعلم أنّ الحب هو كومة من الحزن والفرح لا يعيشان إلا في القلب، وأن الحب شيء والحقيقة شيء آخر.

انتهت الرسالة على هذا النحو، لا أدري بعدها ما حصل لراكان هل تزوّج؟ أو تغيّرت حياته، أو أنه استمرّ بذلك الحساب المزيّف على برنامج "تويتر" يتنمّر على الناس، لا أدري بصراحة

ومن الممكن -أيضًا- لبعضكم يتساءل القصة غير مرتبطة بأشياء غريبة أو غير مألوفة، لكن أحببت تلك النهاية المفاجئة، والحيلة الذكية التي قامت بها أمّ راكان، الحياة تحتاج منّا شيئًا نحبّه حتّى ننطلق بها بكلّ جرأة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صمتُ القبور

ما تسمعُه مجرّد افتراء. صَدّق مَا تراه.

إلى صاحب حساب فضفضة غريبة، حكايتي مرعبة جدًّا

هكذا ابتدأ صاحب هذه القصّة رسالته، يكمل بعدها ويقول، أنا شخص عادي جدًّا، وليس لديّ أيّ نشاطات خارجية، حياتي مجرّد نوم وعمل ومنزل وتنزّه، غير ذلك لا يوجد ما يثير في حياتي الشخصية، كنت أعتقد أن الذين مثلي لا يواجهون أيّ قصّة غريبة أو يصادفون تلك الحكايات المرعبة، لكن على عكس ما توقّعت، نحن العاديين أكثر عرضة لمثل هذه الظروف الصعبة وربّما نحن أكثر جاذبية لمثل هذه الأشياء؛ لأننا بالنسبة لهم مجرّد حمقى من السهل التلاعب بنا

آه يا صاحب الحساب "كان دائما ما يناديني بهذه الطريقة على عكس الباقين الذين ينادوني بالصديق "نحن العاديين دائما ما نحصل على زوجات من طراز خاصّ، نوعية مختلفة، تتعب القلب أكثر ما تسعده

صدّقني أنا مختلف بتاتا ولست من الأزواج غير المبالين، وأقوم بكلّ واجباتي نحوها، لكن هناك بعضا من النساء لا تريد سوى المشاكل والبحث عنها، زوجتي من هذا النوع، تفكّر فقط اللحظة التي تعيش بها، لا تتذكّر أيًّا من تلك الأشياء التي فعلتها لها، متعبة جدّا، ومتطلّبة جدّا، وحقيرة جدّا، وقصّتي التي ستقرؤها بعد قليل مرتبطة نوعا ما بزوجتي، ومع الأحداث ستفهم ما أريد أن أوصله لك

لحظة لماذا هذه الإطالة الطويلة دعني أدخل بالحكاية، وتأكّد أنها حدثت، وكما قلت لك الناس العاديون هم ما يحملون في قلوبهم قصصًا لا مثيل لها، ودائما تراهم يخبئونه تلك القصص في قلوبهم، لأنهم كما قلت عاديون.

إليك الحكاية...

زوجتي لا تكفّ عن الثرثرة، زوجتي مدمنة شجار، على أتفه الأسباب تتعارك، مللت من هذه المرأة، أتمنّى لو أتخلّص منها بأقرب فرصة، الأمر وصل لمرحلة لم أعد احتملها إطلاقا، وبسبب مشاكلها المتكرّرة حدثت لي تلك الحكاية التي كدت أن أصاب بسببها بالجنون، لا لا ليس الجنون فقط، بل كدت أن أموت من الخوف

الحادثة حصلت بعد مشاجرة جديدة كالعادة مع زوجتي في المنزل، وعلى أثر المشاجرة خرجت غاضبا، كنت أسير في الشوارع أحاول تمضية الوقت، رافضا فكرة العودة للمنزل الذي أصبح جحيما بالنسبة لي فأنا أعيش مع

إنسانة متخصّصة في تلفِ الأعصاب ومسبّبة لأمراض القلب، وربّما سأصاب بالشيخوخة المبكّرة، وأعتقد كلّ الرجال الذين يصابون بالجلطات لديهم زوجات مثل التي عندي، كنت وقتها لا أعرف إلى أين أذهب أتسكّع بالشارع، وأسمع ثرثرة المذياع، رغم أنّ الوقت كان مبكّرًا جدّا، فأنا لم أهنأ بوجبة الغداء حتّى حضرتها بدأت بافتعال المشاكل، مشاركة قولوني الذي أعاني منه منذ فترة، حفلة العذاب النفسية التي يقيمانها لي كل فترة

لحظة... تذكّرت اليوم عصرًا سيكون دفن والد أحد الأصدقاء، رغم أنني لم أكن أفكر في الذهاب لمراسيم الدفن لكن وجدتها فكرة جيدة لتمضية الوقت، نظرت للساعة كانت تشير إلى الثالثة فانطلقت مسرعا نحو المقبرة لتأدية الواجب، وأيضا لإشغال نفسي، فالذين مثل حالتي يتمسّكون بأيّ شيء حتّى لو طلبت منهم لعب الدامة مع رجل يكبرك بخمسين سنة لو تطلب الأمر، المهمّ عدم العودة للبيت، لكن كما قلت لكم زوجتي لا تكلّ ولا تملّ، راحت تتّصل عليّ بشكل متواصل مرّات عديدة ولم أجب علي أيّ من مكالمتها لأنني أعلم أنها تريد مواصلة الشجار

وصلت للمقبرة وتخيّلتها إحدى الحدائق اليابانية المليئة بالزهور. العاديون مثل حالتي يتخيّلون ذلك، يبدو أنني تأخّرت قليلا، كانت الجموع تسير بنعش والد صديقي وتتوجّه به نحو قبره، الحمد الله وصلت بالوقت المناسب، أقول ذلك لأنهم لم يدفنوه حتى الآن، وطبعا هاتفي لا يتوقّف عن الاهتزاز، وصلت الجموع ناحية مكان الدفن وكنت أنا أسير معهم بهدوء وبال مشدوه، والهاتف لا يزال يهتزّ في جيبي

كان دفن والد صديقي هو الأخير ما بين القائمة، ونظرًا لأننا في يناير فيحاول مسؤولي المقبرة الدفن سريعًا قبل موعد الغروب وهو الأمر الذي يحدث عادة في مثل هذا الوقت؛ لأن ساعات النهار تكون قصيرة، طبعا لا يزال هاتفي يهتزّ في جيبي، هنا قرّرت الردّ عليها من أجل إنهاء هذه المشكلة المرهقة لي

وفور ردّي راحت تكيل لي الشتائم وتنعتني بالإهمال والفوضوية، غيرها من الصفات غير المحببة، لكنّي حاولت تهدئة الأمور ليس حبًّا لها بل أريد الهروب من ثرثرتها وإراحة رأسي من كلّ هذا الهراء، وقمت بمناقشتها، لكنّها كالعادة تحاول التملّص، ورمي كلّ التهم عليّ، في هذه الأثناء كنت أسير من دون لا أشعر، ولم أجد نفسي إلا بعيدا عن مكان الدفن والجموع، و كانت الشمس تميل نحو الغروب

انتبهت هنا إلى مؤشر بطارية الهاتف الذي كان يضيء باللون الأحمر دلالة على أنه يوشك على النفاد، فعدت إدراجي أسير بشكل سريع ما بين القبور،

التي كانت بعضها مفتوحة تستعد لاستقبال الموتى، و قبور جديدة احتضنت أجساد بعض البشر قبل أيام قليلة، وأثناء رجوعي السريع محاولا الوصول لمكان الدفن، وارتباكي التي كانت سببها زوجتي الثرثارة كوني كنت غاضبًا بشدّة، تعثّرت قدمي ببعض الصخور المنتشرة في المقبرة، هنا لم أوازن جسدي بشكل جيد لأسقط بشكل مباشر بأحد القبور التي تتجهز في احتضان متوفّى جديدة لكنّها للأسف احتضنتني، لأفقد الوعي وأنا مرميّ داخل القبر بعد ضربة مباشرة على رأسي، ويسقط هاتفي بجانبي، ولا تزال زوجتي من داخله تثرثر، غير مدركة المشكلة التي وقعت بها.

هل خضت تجربة البقاء في القبر وأنت حيّ؟ بالتأكيد لا، فالأمر خارج عن المألوف، وأدهى من ذلك عندما تستيقظ وتجد نفسك محاط بالظلام وأنت تشتم رائحة القبر، نحن العاديين لا نعرف كيف نتعامل بمثل هذه المواقف، لأنني كما قلت لك نحن عاديون، كان السواد هو المشهد العام الذي تراه عيني، لم أدرك وقتها أنني داخل حفرة، نهضت متحسّسا مكاني، أضع يدي على رأسي الذي كان ثقيلًا جدًّا ويؤلمني بشدة، وأتساءل أين أنا؟ حاولت النهوض شعرت بألم شديد ناحية ركبتي، هنا تذكّرت أنني لا أزال في المقبرة، وقبل قليل كنت أتحدّث لزوجتي، لحظة هل المكان الذي أنا فيه قبر؟، ارتعدت جميع فرائصي، شعرت بخوف شديد، لم أتوقّع ولو للحظة أنني سأقع بمثل هذا الموقف البائس.

مشاعر مختلفة ما بين الخوف الألم، نهضت بتثاقل، كان القبر عميقا قليلا، وبعد محاولات عديدة استطعت الخروج منه، كان المكان موحشًا وصامتًا، إنّه صمت القبور الذي نسمع عنه دائمًا، وأنا الآن أعيشه، يبدو أنني أعيش أسوء لحظات حياتي، خاصّة أن الجوَّ العامَّ ملبّد بالضباب الخفيف، وبالكاد تميّز أي شخص من بعيد، وهي مشكلة أخرى، لأنني أريد تحديد مكان وقوف سيّارتي، إضافة إلى أنني أقف بمسافة بعيدة عن البوابة الرئيسة، وهو ما يستدعي أن سير ما بين تلك القبور بهذه الساعة التي لا أعرف توقيتها الآن، وكم مضى من الوقت؟ وكم لبثت مغميًا علي داخل القبر، لحظة تذكّرت شيئًا مهمّا هاتفي النقّال، رحت أبحث عنه بالمنطقة التي خرجت منها لكن للأسف لم أجد شيئا، وتوقّعت أنّ الهاتف قد وقع داخل القبر.

من المستحيل العودة مرة أخرى لذلك المكان الموحش؛ لأنه بمجرّد التفكير ستشعر بالغثيان والخوف الشديدين اللذين من خلالهما من الممكن أن تجنّ، جلست لثوانٍ أحاول ترتيب أفكاري، فلم أجد سوى حلّ واحد، السير لكن بأيّ اتجاه لا تعرفَ أبدا، وقفت وقرّرت البحث عن مخرج، كانت خطواتي حذره خوفًا من الوقوع مجدّدًا داخل أيّ حفرة أخرى

يا إلهي هل لكم أن تتخيّلوا ذلك الشعور وأنت تسير ما بين القبور وشواهدها بوقت مثل هذا، ولسوء الحظّ ودائما خيالك السيّئ يعمل الآن، وتتراءى لك العديد من الأشياء، إضافة إلى الضباب الكثيف الذي يشعرك أنّك تسير في إحدى المقابر القديمة، والخيال مع مرور الوقت يزداد سوءًا، وتتوقّع خروج أيّ شيء أمامك الآن، كان أمرًا متعبًا وغريبًا بعض الشيء، وقفت أدقّق النظر أريد الإمساك بأيّ خيط يهديني للبوابة الخارجية، والشواهد منتصبة ما بين المرتفع والقصير، واتّجهت سائرًا ما بينها أريد الوصول لأيّ شيء، شعرت بالتوهان الكبير، وأنا على يقين أنّني قريب من المنفذ

وقفت أدقّق النظر بالضباب الذي أمامي، أحاول التركيز وتذكّر موقعي قبل الوصول، لكنّي لم أهتدِ قط لأيّ شيء، لحظة هناك همس أو همهمة، بدأ قلبي ينبض بسرعة كبيرة، هنا معي شيء آخر دبّ به الحياة، ماذا يكون، ركّزت سمعي على مكان مصدرِ الصوت، بالفعل إنّه صوت قريب منّي، ابتلعت ريقي أريد التأكّد، اتّجهت ناحيته وكلي أمل أن يكون أحدهم قريبًا منّي كحارس المقبرة أو كغيره من البشر، هذا ما كنت أتأمّله حتّى أهيّئ عقلي لما هو أفضل، نحن العاديين نفكّر على ذلك النحو

وبينما كنت أسير توقّفت لأجد شيئًا غريبًا يجلس القرفصاء بجانب أحد القبور بلباس أسود قاتم، كان وقتها منزلًا رأسه إلى الأرض وكأنّه يتحدّث لشيء ما، وبيده بعض الأشياء الغريبة، كأنه يحفر الأرض، لا أدري هل هو إنسيّ أم من عالم آخر، هيئته لا تدعو للارتياح، تقدّمت خطوتين إلى الأمام بحذر، هنا انتبه ذلك الشيء الجاثي بجانب القبر ورفع رأسه بهدوء، لتفاجأ بوجه غير المألوف وبشرته البيضاء الساطعة، التي تختلف اختلاف كلّي عن بشرتنا، نظراته كانت حادّة وحاسمة يتطاير منها الشرر، كان ينظر لي فقط بجمود، كأنه ينتظر اللحظة المناسبة كي ينقضّ عليّ، هنا لم أجد نفسي إلا وقد أطلقت ساقيّ للريح أجري سريعًا ما بين القبور، من دون تركيز أو وعي أركض بكامل قوّتي، حتى الآلام التي كنت أشعر بها نسيتها من شدة الخوف والفزع، هنا تعثّرت مرة أخرى بشيء وعلى ما أعتقد أحد شواهد القبور غير المرتفعة كثيرا لأجد نفسي أسقط مجدّدًا داخل احد القبور المفتوحة، يا لَه حظي العاثر كأنّه هذه القبور اليوم تبحث عنّي وتريد التهامي، كانت سقطة مؤلمة بدأت أتوه من الألم الذي حصل لي، أنفاس راحت تتلاحق بقوة وشدة، نعم أنا بالقبر مجدّدًا، لا أدري ماذا أفعل هل أخرج أم أبقي متخفيا هنا؟

يا إلهي أنا محاصر بالخوف من جميع الجهات، بقيت صامتا ألهث من التعب والألم، وجالسًا بقاع القبر، مركزًا نظري ناحية فتحته، ما هي إلا ثوانٍ حتى شعرت بخطوات أحدهم تسير ناحية مكاني،، كان الصوت قريبًا جدًّا، من المعقول أن يكون هو وعرف مكان وجودي، أغمضت عيني وجسدي كلّه

يرتعش، وحواسّي جميعها مشتّتة، ما لبثت حتّى رأيت ذلك الوجه الذي ينظر لي من فتحة القبر وهو يمده ببطء شديد وجهًا أبيض باهت وعينان متوهّجتان كأن بداخلهم فتائل من النار، كان ينظر بحدّة وغضب لم أفهم ماذا يريد، انعقد لساني من الخوف تمنّيت لحظتها الموت

تحرّك قليلا وراح يحاول القفز داخل القبر معي، هذا أسوأ ما كنت أتوقّع القفز معي يكفي ما تراه عيني الآن، هنا انفكّت عقدة اللسان، تكلّمت قائلًا..

- من أنت، وماذا تريد منّي؟

لم يجب وكان ينظر بتلك العيون الشرسة

تقدّم هذه المرة وهو يحاول إدخال قدميه داخل القبر، لا مفرّ هذا الشيء يريدني، وعندما حاول القفز لمحت سكينًا بإحدى يديه، الأمر خرج عن المألوف، ولم أجد نفسي إلا أصرخ بأعلى صوتي محاولًا تسلق القبر من الناحية الأخرى قائلًا بذعر

- أنقذوني هل يوجد أحد هنا

كان صوتي قويًّا صادحًا، لا أعلم من أين أتت كل هذه القوة لحبالي الصوتية، صرت أصرخ بكلّ قوتي تارة ألتفت له وتارة أخرى أحاول التمسّك بأي شيء، ما هي إلا ثوانٍ حتّى قفز ذلك الشيء بكامل جسده معي داخل القبر، انتفضت كلّ حواسّي أصبحت كالقطّ الذي يريد التعلّق بأيّ شيء حتّى استطعت التمسّك بحافة القبر من الخارج لأجد نفسي بكامل جسدي خارجه، لولا أن ذلك الوقح قد تمسّك بقدمي، لحظة الخوف تأتيك قوة إضافية لا تعرف من أين جاءت، رحت أنازعه محاولًا افتكاك قدمي التي صارت تحت قبضة يده، الخوف يجلب الشراسة

وهو ما فعلته عندما انتزعت قدمي منه بشراسة، وكالعادة من دون شعور راح خوفي يسيّرني كيفما يشاء، وانطلقت راكضًا ما بين القبور والشواهد أصرخ بأعلى صوتي، حتى تعثّرت مرة جديدة ليصطدم رأسي بشيء صُلب، لكن هذه المرة لم أسقط على القبر بل سقطت أرضًا أتأوّه من الألم

نهضت لأجد ذلك الشيء يجلس بجانبي والسكين التي رأيتها قبل قليل بجانبه، ابتلعت ريقي برعب، شرعت أنّ قلبي يكاد يثب من صدري، كان ينظر لي كعادته بجمود مرعب، هنا وضع يده على ساعدي، وبعدها أمسك بيده الثانية بالسكين التي كانت بجانبه، ثم حرّكها بسرعة محاولًا غرسها بجسدي لولا أنني تحاشيت ذلك الموقف ليثبت رأس السكين ناحية كتفي، مع ردة فعل طبيعية من أيّ إنسان بمثل حالتي، ضربته بيدي أخرى على وجهه، وقمت متثاقلا محاولًا الهروب

نعم قواي كانت خائرة وعزمي قلّ بسبب الكمّ العديد من الإصابات التي تعرضت لها، إضافة إلى النزيف الذي راح يثور كالبركان من كتفي، ورائحة الدم التي انتشرت بالمكان، سقطت مجدّدا، والتفتت ناحيته لأجده يتقدّم ناحيتي من جديد وبيده السكين، بعض الأحيان نحن العاديين نجد الأقدار تقف بجانبنا، وبينما كنت ملقى على ظهري، مستسلما لوضعي منتظرًا تلك السكين التي بيده، شعرت أنّ هناك حجرًا كبيرًا قريبًا من يدي، أمسكته وتمسّكت بأملي الوحيد، لأقذفه به بكلّ قوتي من دون أيّ تردّد، ليضربه بشكل مباشر بوجه، كانت الرمية متقنة، والمصادفة لعبت دورًا مهمًّا معي ليصرخ بكلّ قوة، كأنّه وحش من العصور الغابرة، ويترنّح متراجعًا واضعًا يده على وجهه يصرخ يتألّم بشدة، ثم يسقط على الأرض من دون أيّ حراك، من دون تردّد قمت بذلك الجسد المثقل بالجراح محاولًا الابتعاد عن المكان أترنّح وأنادي بصوت خفيض، حبالي الصوتية تئنّ من الألم مثلي، مضى من الوقت تقريبا دقائق حتّى أعياني التعب وشعرت بدوار كبير برأسي، يبدو أنّني نزفت كثيرا وفقدت كمّيات كبيرة من الدم لأسقط على الأرض فاقدًا وعيي.

ولم أستيقظ إلا على صوت أحدهم، وأول ما شاهدته سقف الغرفة الأبيض، صرت ألتفت يمينًا وشمالًا بحالة فزع وخوف، وأردّد قائلًا

- أين أنا، لقد كان يلاحقني

هنا انتبهت لذلك الرجل الذي كان يرتدي زيّ الشرطة وهو يطلب مني الهدوء

شعرت ببعض الراحة عندما تأكّدت أنّني أتحدّث مع بعض البشر، خاصّة أنّ النور كان ينتشر بالمكان بشكل مبهر، وهو الشيء الذي افتقدته قبل ساعات، قال لي الضابط بشكل مباشر..

- ماذا كنت تفعل داخل المقبرة بهذا الوقت

أخذت نفسًا عميقًا، وتحدّثت للضابط بكلّ هدوء، مع أنّني لا زلت خائفًا ومتوجّسًا جدًّا، التفتّ يمينا وشمالا وأنا أكلّمه، وقلت له كلّ ما رأيت حتّى عن ذلك الشيء الذي كان يلاحقني

فهم الشرطي كلامي، وكان معه على ما أظنّ حارس المقبرة بسبب زيّه الذي يميّزه، هنا قطع الشرطي حديثي وقال

- احضروه

سرعان ما دخل علينا ذلك الشيء الغريب الذي وجدته وكان يلاحقني داخل المقبرة، وهو مكبّل بالأصفاد، وينظر للأرض بذُلّ كبير، ووجهه محمرّ ومتورّم من ناحية خدّه الأيمن، لم أجد نفسي إلا انتفضت مجدّدا، ومن دون شعور

تراجعت للوراء وكدت أسقط لولا تدخّل الشرطي الذي طلب منّي الهدوء مجدّدا، ثم قال:

- تقصد هذا الرجل كان يلاحقك داخل المقبرة

هززت رأسي بالإيجاب، وعيناي لم تتركه لحظة، لكن المصيبة وطوال ما كان الضابط يتحدّث، كان ذلك الشيء ذو الوشاح الأسود صامتا، بعدها طلب منّي الشرطي الحضور لقسم الشرطة وإكمال التحقيق قبلها نقلوني للمستشفى وعولجت من الجروح التي حصلت لي، أخذت بعدها هاتفي النقّال، وقمت بشحنه داخل السيّارة، وعند فتحه تفاجأت بالكمّ الهائل من الرسائل والمكالمات القادمة من زوجتي وبعض الأهل

وعند وصولي قسم الشرطة، شرح لي الضابط، كلّ ما حصل لي مع ذلك الشيء الذي وجدوه في المقبرة، كان أحد المشعوذين الذين كان يحاولون القيام ببعض الأعمال السيّئة، ودفن بعض الأشياء في أحد القبور، لإتمام سحر معيّن كلّف به، وهو ما تصادف مع وجودك معه، وكان ذلك المشعوذ يريد قتلك ودفنك في أحد القبور حتّى لا تقوم بفضحه، لكنّ صراخَك العالي قد نبّه حارس المقبرة الذي بدوره قام بالاتصال بنا مباشرة، لنأتي مباشرة ونقوم بكشف ذلك المشعوذ، ووجدناك مغمى عليك بين القبور، ولحسن حظّك اعترف المشعوذ أنّك لست معه ولا يعرفك، وباستطاعتك الآن الذهاب لبيتك

نظرت للشرطي لثوانٍ غير مصدّق كلّ الأحداث التي حصلت اليوم، يعني لولا صراخي لكنت اليوم بعداد الأموات، نحن العاديين لا نملك سوى الصراخ بعض الأحيان، يا لزوجتي البائسة، هي من وضعتني بهذا الموقف،

هنا رنّ الهاتف مجدّدا لأجد المتصل هي زوجتي مرة أخرى، يا ترى هل تريد إكمال العراك، أو الاطمئنان عليّ.

قبل أن أنهي قصتي، اريد أن أقول لكم شيئا مهما، الشخص الذي قبضت عليه الشرطة، يختلف اختلاف كلي عن ذلك الشيء الذي واجهته في المقبرة في تلك الليلة البائسة !!!!

شدّتني أحداث قصة هذا الرجل، والمصادفات العديدة التي حصلت له، نعم هناك بعض المشعوذين والسحرة، يقومون ببعض هذه الأعمال وبالتحديد في المقبرة، من أجل دفن عمل، او حاجة من الشخص المراد، لإتمام تلك الطقوس السيّئة، لحظة بطل القصة يدعى جرّاح، كما ذكر لي، وطالبني بشدّة في نهاية القصة نشر قصّته، مؤكّدًا أنّ هناك رجالًا عاديين مثله، دائما ما زوجاتهم تضعهم في زاوية متعبة، مثلما وضعته زوجته بسبب ثرثرتها وعدم

إحساسها بالمسؤولية، وبالأخير قال، العاديون دائما ما تقف معهم الأقدار باللحظات الحاسمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أرواحٌ مَحبُوسَة

خلفَ جدرانِ البيوتِ هناك مَن يستغيثُ بصمت

مرحبا ادعى كريمة، غير متزوّجة، لن أقول إنني طيبة الخلق ومميّزة كما يدّعي الكثير من الناس الذين يتظاهرون في البداية بكامل صفاتهم الجميلة، فلكلّ إنسان جانب مظلم وجانب مشرق، أرواحنا تحوي الخير والشر، لا تصدّق كلّ من يقول لك هناك بشر مثاليّون أو شرّيرون، أنا واحدة من هؤلاء البشر الذي أحمل بداخلي الخير والشرّ، السعادة والحزن، الخوف والشجاعة، البشر الطبيعيّون هم من يحملون بداخلهم التناقضات

دعنا من هذا كلّه، أريد أن أنقل لك حادثة غريبة حصلت معي منذ فترة ليست بطويلة، حدث مثير، حتّى كتابة هذه الرسالة لك لم أجد إجابات واضحة وصريحة، للعديد من الأسئلة التي هطلت على رأسي كالمطر، فقلت بيني وبين نفسي لماذا لا أنقل هذه الحكاية، لعلك تصدّقها وتنقلها للقرّاء الأعزاء، لعلّهم يجيبون عن الأسئلة التي لم أجد لها أيّ إجابة

باختصار شديد خلف جدران البيوت العديدة التي نراها كلّ يوم أو نمرّ من جانبها هناك العديد من الأرواح التي تستغيث بصمت، وهناك -أيضًا- حكايات غير مريحة تحدث كلّ يوم لهم، لا يجدون من يساعدهم، فتنتهي حكايتهم بصمت، وتبقى أثارها التي ربّما تعود مرة أخرى حاملة بداخلها كشف الحقيقة

أيّها الصديق دعنا ندخل في صلب الموضوع وإليك الحكاية...

كانت ليلة هادئة ومريحة، بعد يوم شاقّ قضيّته في العمل بمشروعي التجاري الذي أديره، كوني أعمل في أحد النشاطات التجارية المنزلية، ليس الإرهاق جسدي، بل هو ذهني، بسبب متابعة الزبائن عن طريق برنامج "الواتس آب" والردّ على جميع استفساراتهم التي لا تنتهي، وهناك العديد من الزبائن الذين يجعلوني أفيض من الغيظ، وأغطس في بركة النرفزة بسبب تلك الأسئلة الغريبة، إضافة إلى الإلحاح غير المبرر من بعضهم، وغيره وغيره من هذه الأمور، وأعتقد كلّ من لديه حساب على برنامج الإنستغرام أو أيّ برنامج تواصل اجتماعي، من خلاله يعرض بضائعه يعرف المعاناة التي أعانيها مع بعض هؤلاء.

يأتي اللّيل ليلفَّ كلّ هذا التعب، الآن استلقي بفراشي، أراقب هاتفي الأول من حين إلى آخر، ترقّبًا لقدوم أيّ رسالة، وهي عادة أقوم بها في الساعات الأخيرة قبل النوم، وطبعًا هناك رسائل مهملة أتجاهلها من زبائن مزعجين، قائمة الرسائل عندي في "الواتس آب" مكتظّة إلى الآخر، لا أعرف من أين ابدأ بها

وبينما أقوم بالتدقيق، لفتت انتباهي رسالة غريبة، وطبعا كالعادة من رقم غير مسجّل، بعدما فتحتها وكانت بدايتها كالتالي

- الرقم الغريب: أرجوك ساعدني إذا كنت تقرئين الرسالة

كانت بهذه الصيغة، وهي المرة الأولى التي يخاطبني بها أحد بتلك الطريقة

جلست متأمّلة الرسالة باستغراب شديد، وبداخلي العديد من الأسئلة، من هذا الشخص؟ ولماذا يطلب المساعدة؟ ولماذا أنا بالذات؟

تردّدت كثيرًا قبل الردّ عليه، وخفت أن تكون طريقة معاكسة جديدة يقوم بها الشباب، خاصّة أنني أتلقّى رسائل كثيرة بهدف المعاكسة، بطرق عديدة مبتكرة، هنا طرأ سؤال جديد برأسي، لماذا أنا بالذات يطلب منّي المساعدة؟ إذا كان فعلًا يريدها

مرّ من الوقت بعض الدقائق والأسئلة والتردّد يتقافزون في عقلي، هل أردّ؟ هل أهمله وأنام؟، وبالفعل اتخذت القرار الثاني تجاهلتها، ووضعت هاتفي على الطاولة القريبة من سريري، وأعطيتها ظهري محاولة النوم، بينما هناك شيء غريب بداخلي يلحّ عليّ بكلّ إصرار على الردّ.

كنت أقاوم بشدّة، لكنّ الرسالة الثانية، التي انتبهت لها كانت فاصلة، عندما قرأت محتواها وكانت كالآتي:

- الرقم الغريب.. الأمر بغاية الصعوبة، أرجوك لا تتجاهلي أنا في مأزق كبير، وأنت الوحيدة القادرة على مساعدتي.

يا إلهي.. يبدو أنه فعلا بمأزق، رددت على الرسالة قائلة

- من معي؟ ولماذا تطلب منّي المساعدة أنا بالذات لأنني لا أعرفك؟

أجابني بعد ثوانٍ بالطريقة نفسها..

- هل أستطيع أن أتحدّث معك، حتّى أبلغك بالطريقة التي تستطيعين بها مساعدتي، و نوعية المأزق الذي أنا به!!

هنا أصابتني بعض الشكوك، وطبعا فكّرت بالبداية، إنه من هؤلاء الشباب الفارغين، الذين يريدون التسلية قبل النوم

وحاولت التجاهل مرة ثانية، لكن ما أفزعني الاتصال المباغت الذي جاء منه، كنت خائفة جدًّا وقلقة لا أعلم لماذا، علما أنّني أجلس في بيتي وداخل غرفتي محاطة بالعديد من الجدران الآمنة، الخوف يعرف كيف يتسلّل لقلوبنا بمهارة، في البداية لم أردّ على اتصاله، وحاولت التجاهل، لكنّ إلحاحه المتواصل هو ما جعلني أردّ بعصبية

- أعلم جيّدًا أنّها خدعة من خدع الشباب، كلّ ما في الأمر أنّك تريد طريقة من أجل فتح موضوع معي، صدّقني أنا لست من الفتيات اللاتي في بالك

كان هذا ردّي عليه فور فتح الخطّ معه

ردّ عليّ بصوت خافت رفيع وقَلِق قائلًا:

- صدّقيني أنا في مأزق حقيقي، وأنت الوحيدة القادرة على مساعدتي

أجبته بطريقة ساخرة قائلة:

- وما نوع هذا المأزق الذي يتطلّب منّي مساعدتك؟

أجابني بالطريقة نفسها ولكنّ هذه المرة كنت أدقّق على نبرة صوته:

- أنا الآن محبوس داخل أحد البيوت المسكونة، أعلم جيّدًا أنّك لن تصدّقي لكن هذه الحقيقة

بقيت صامتة قليلًا أستمع له بدهشة، وأكمل حديثة قائلًا:

- الخطأ خطئي، لم أسمع كلام أصدقائي. الدخول لهذا البيت يعتبر جنونًا، لكنّي لم أستمع لهم، فهناك العديد من الأشخاص الذين سبقوني ودخلوا هذا البيت ولم يخرجوا

يقال إن هناك شبحًا أو شيطانًا أو عفريتًا، يترصّد بكلّ قوة لمَن يدخل هذا البيت ليلًا، ويقتله، ليس فقط القتل كما تظنّين وينتهي الأمر بل يعذّبه بالعديد من الطرق قبل قتله

هنا شعرت برعشة انسلّت إلى جسدي، لا أعلم لماذا شعرت بهذا الخوف الشديد، حاولت التماسك وقلت له بصوت مرتبك:

ولماذا اخترتني لأقوم بتلك المهمّة، ومن أين عرفت رقم هاتفي؟

ردّ بالطريقة نفسها قائلًا:

- على ما أعتقد أنت تملكين متجرًا خاصًّا لبيع بضائع على برنامج "الانستغرام" وعندما حبست بهذا المكان حاولت الاتصال بعدد من أقاربي وأصدقائي لكنّهم لم يردّوا على مكالماتي، وأنا بهذا المكان أكثر من ساعة، وأظنّ بأيّ لحظة سيدخل عليّ ذلك الشيء الذي يسكن المكان ويقتلني

هنا انتفضت قليلًا وقلت له:

- هل ترى ذلك الشيء الذي تتحدّث عنه؟

عمّ الصمت بالمكان قليلًا وبعدها سمعتُ صوت ضربٍ قويّ، كأنّه أحدهم يضرب على باب حديد، وبعدها قال:

- أتسمعين ذلك الصوت، إنّه ذلك الشيء الغريب، يبحث عنّي

قاطعته مرة أخرى وقلت:

- هل ترى ذلك الشيء؟

:قال لي

- منذ دخولي هنا كنت أسير في ممرّ المنزل، ولم أرَ أيّ شيء يثير الاهتمام، علمًا أنني استكشفت البيت بالكامل ودخلت غرفة غرفة، وتجوّلت ما بين الممرّات وحتّى إنّني صعدت على السطح، ولم أرَ ذلك الشيء الذي يتحدّثون عنه، وقلت بيني وبين نفسي على ما يبدو أنّ هذا البيت أخذ سمعة لا يستحقّها، وعدت أدراجي محاولًا الخروج، وفور وصولي للباب الخارجي صدمت عندما وجدته قد أغلق تمامًا، حاولت فتحه لكنّي لم أستطع، كأنّ أحدهم وضع كلّ حديد الأرض خلفه

بدأت بالبحث عن أيّ مخرج لكن لم أجد، وبعد محاولات يائسة، لمحت شيئًا يقترب من بعيد، أنا أقف عند البوّابة الخارجية، وذلك الشيء الذي يتحرّك من الجهة الثانية من البيت وراح يقترب رويدًا رويدًا، صدمت بفتاة على ما يبدو أنّها في سنّ الحاديةَ عشرة من عمرها أو أكثر، كانت ترتدي بجامة منزلية بيضاء وعلى ما أظنّ يوجد بداخلها بعض النقوش

كانت تسير بسرعة كبيرة وهي تتلفت يمينا وشمالا كأنّها خائفة من شيء ما، واتّجهت تدخل وتخرج من الغرف، رحت أسير خلفها بهدوء تامّ، حتّى وجدتها تستقرّ بإحدى الغرف تجلس بزاويتها وتتكوّر كأنّها خائفة من شيء، هنا تقدّمت ناحيتها تحدّثت بصوت مرتجفٍ، لكنّها لم تردّ، وعلى ما أعتقد أنّها لم ترني قطّ، وبعدها قامت وكان وجهها شاحبًا كأن ملامحه قد سحبت منه متّجهة نحو الباب الذي أغلق علينا نحن الاثنان، وبدأت تضرب عليه وهي تجلس على ركبتَيها وهي تقول أخرجيني يا سليمة، سأخبر أبي بكلّ ما حدث، أخرجيني يا سليمة

لا أعرف مَن هي سليمة التي تتحدّث عنها، ما لبثت حتّى انتفض المكان وشعرت هنا أنّ أحدهم، قد جرّ تلك الفتاة من ملابسها، هي راحت تصرخ بكلّ قوّتها، بينما أنا تواريت عن الأنظار مختبئًا وراء الأثاث المبعثر داخل الغرفة، وخوفي يكاد يقتلني، هنا ظهر شيء هلامي كأنّه يسبح بالفضاء، دقّقت النظر به، أثار رعبي، إنّه يسير بلا أقدام، لا أعرف هل هي امراة أم رجل، وقف كأنّه أحسّ بي وراح رأسه غير المرئي يدور بالمكان، بينما تلك البنت معلّقة بيده

كأنّها غصن شجرة تحرّكها الرياح، تنتفض بيده تحاول الهروب، ثم فتح الباب من تلقاء نفسه، وخرج ذلك الشيء الغريب سائرًا حتّى ذاب بالظلام

هنا أغلق الباب عليّ. مرة أخرى بقيت محبوسًا بهذا المكان كما ترين، وبدأت باتصالاتي بالقائمة المحفوظة عندي بسجلّ المكالمات، لكن لم أجد أيّ إجابة من أحدهم احترت كثيرًا ماذا أفعل، حتّى طرأت هذه الفكرة برأسي البحث عن أرقام موجودة في الإنستغرام وأول الأرقام التي ظهرت لي هو رقمك، أتمنّى أن لا تخيّبي ظنّي بك

بقيت صامتة مذهولة وغير مدركة ما قاله، وفي الوقت نفسه غير مصدّقة، وأردّد بداخلي هل أنا في حُلم أم علم؟ شعرت بتشتّت ذهني كبير لا مثيل له، لأقول لحظتها

لماذا كلّ الأرقام لا تعمل معك؟ هل هناك خلل بجهازك المحمول.

ردّ بصوته الخافت المرتعش

- لا جهازي يعمل بشكل جيد قبل دخولي إلى هنا، ولا أدري ما أصابه

عمّ الصمت مرة أخرى أقل من ثلاثين ثانية وأنا أردّد كلمة واحدة فقط

- ألو.. ألو.. هل تسمعني أين ذهبت

هنا تحدّث بسرعة شديدة قائلًا:

- لا أريد الانتظار طويلًا، أرجوك سجّلي رقم الهاتف الذي سأعطيك إيّاه، إنّه رقم شقيقي الأكبر، اتّصلي به واطلبي منه الحضور على العنوان الذي سأعطيك إياه

أجبته بارتباك شديد:

- هات ما عندك.

سجّلت الرقم الذي كان يمليه عليّ، ومن ثَم عنوان البيت المحبوس به، كان في منطقة الظهر التي ليست بعيدة كثيرًا من منزلي

وفور الانتهاء، سمعت صوت جلبة، لأسمعه يقول:

- أمل أرجوك أسرعي بالاتصال بشقيقي حمد، إنه يقترب منّي كثيرًا الآن

رددت عليه:

- من الذي يقترب منك

قال بصوت مرتعب:

- ذلك الشيء الذي ذكرته لك، أتعلمين أنه بلا وجه فقط أشعر أن هناك رأسًا فقط بلا ملامح، يبدو أنه اكتشفني..

ثم راح يصرخ وهو يردّد بصوت عالٍ إنّه يجرّني من قدمي يا أمل أسرعي فالأمر لا يتحمّل التأخير كثيرًا

بعدها اختفى الصوت، وبقيت أردّد قائلة:

- هل تسمعني ألو.. هل لا زلت موجودًا على الخطّ

لينقطع الخط بعد ثوانٍ

جلست سارحة أفكّر ماذا أفعل، والخوف ينهشني نهشًا، شعرت كأنّني أعيش مع ذلك الشخص الموقف نفسه، ورحتُ أفكّر هل أتصل على ذلك الرقم الذي أعطاني إيّاه، هنا تداركت الموقف وقلت لا بدَّ من الاتصال

وبعد محاولات عديدة، لم أجد أيّ إجابة من شقيق ذلك الشخص الذي اتصل بي للتوّ، ثم فكّرت قليلًا، وأنا أنظر للرقم الذي جاءني منه الاتصال الغريب، وقلت لماذا لا أعاود الاتصال، حتّى أتأكّد أكثر، أو أطمئن عليه

المصيبة، أنّني بمجرد ما اتصلت فوجئت أنّ الردّ الآلي يجاوبني بتلك الجملة

(هذا الرقم غير موجود بالخدمة)

هذا الأمر شكّل لي صدمة جديدة، وكرّرت محاولات اتصالي، لكن لم يكن هناك أيّ شيء جديد. الإجابة نفسها.

ليلتها لم تذق عيني طعم النوم، والعديد من الأسئلة تعجّ برأسي، حتّى بزوغ الشمس التي طلّت بأضوائها من نافذتي الصغيرة، والذي زاد عيني اتساعا، الاتصال الذي جاءني، وهو من رقم شقيقه

- صباح الخير، لقد قمتم بالاتصال سلفا، آسف على عدم الإجابة لأنّي وقتها كنت نائمًا

كانت هذه أول جملة أسمعها من شقيق ذلك الشخص الغريب الذي يدعى فهد كما قال لي اسمه على ما أعتقد، أجبته

- صباح الخير، لقد أعطاني رقم هاتفك شقيقك فهد، لقد طلب منّي الاتصال بك لمساعدته، لأنّه محبوس في منزل مسكون كما يقول كائن في منطقة الظهر.

ردّ عليّ بطريقة ساخرة

- أختي أرجوك يكفي تلاعب بنا، أخي فهد مات منذ سبعة أشهر.

كانت الصدمة التي لم أجد لها تفسيرًا وقلت باستغراب

- إنك تكذب، فهد كلّمني ليلة البارحة، يقول إنّه محبوس بأحد البيوت المسكونة في منطقة الظهر.

أجابني بهدوء بعد أن تدارك الموقف:

- أقدّر كلّ ما تقولينه فهي ليست المرة الأولى، وأعلم أنّها حالة غريبة

قاطعته قائلة:

- ماذا تقصد بأنها ليست المرة الأولى

أجابني بعد أن شعرت أنه أخذ تنهيدة طويلة:

- لا نعلم هل هي روح فهد أم شيء آخر، فلقد جاءتني العديد من الاتصالات المتشابهة بعد موته، كان يطلب منهم المساعدة

هنا قلت له:

- كيف مات شقيقك فهد؟

- ردّ عليّ بنبرة يائسة:

- وجدنا جثّته ملقاة بذلك البيت الذي أعطاك عنوانه في منطقة الظهر، وبعد سؤال أصدقائه قالوا، فهد كان يعلم جيّدًا أن هذا المنزل مسكون، وهناك العديد من الأشخاص الذين دخلوا المنزل ولم يخرجوا، لكنه أصرّ على الدخول، وهم من أبلغونا أن فهد دخل ولم يخرج، في اليوم التالي أبلغنا الشرطة التي بدورها دخلت البيت، تفاجأت بجثّة فهد بغرفة بيضاء اللون، نافذتها مغلقة بجدار حديدي، ويوجد دولاب صغير بها وسرير حديدي، وبعد شهر من موته وإغلاق ملفّ القضية، جاءني أول الاتصالات من شخص لا أعرفه، وقال لي جملتك نفسها: شقيقك محبوس في البيت المذكور ويطلب المساعدة، أول مرة صدّقت المكالمة وذهبت لكن صدمت بعدم وجود أيّ شيء، وراحت المكالمات تتكرّر عليّ في كلّ شهر، وأنت على ما أعتقد سادس شخص يتصل عليّ ويطلب منّي مساعدته، يبدو أنّ روح فهد لا تزال عالقة داخل جدران هذا المنزل وتطلب المساعدة، لا أعلم ما هي اللحظات الأخيرة التي عاشها فهد قبل موته.

على ما يبدو أن فهد قبل موته كان يحاول الاتصال لكنّ الوقت لم يسعفه

سألته مرّة أخرى؟

- هل عرفتم كيف توفّي؟

أجابني وهو يتنهّد:

- تقرير الطبيب الشرعي يؤكّد أنّ موته بسبب سكته قلبية، لكنّ أدهى من ذلك، جحوظ عينَي فهد، خاصّة أنّ هناك العديد من المحاولات لإغلاقها ولم نستطع، ظلّت عيون فهد مفتوحة حتّى بعد دفنه، وأعتقد قبل موته شاهد شيئًا مخيفًا أكثر ممّا نتصوّر، جعل عينيه جاحظتين بهذا الشكل.

بقيت صامتة قليلا، أفكّر بكل كلمة قالها ليقطع شقيقه حمد لحظة الصمت

- لا تفكّري كثيرًا، وانسَي الموضوع، هذه الحادثة حالة نادرة، عيشي حياتك بهدوء، وسامحيني على الإزعاج الذي تسبّب به أخي فهد لك، الآن مضطرّ لإغلاق الهاتف، مع السلامة.

أغلق الهاتف وذهب، بينما أنا كنت أفكّر بالعديد من الأشياء، أفكّر بكلّ دقّة بما حدث، وهل من المعقول هناك أرواح تتواصل بعضها مع بعض بعد الموت!

يبدو أنّ روحه حبست هي الأخرى بذلك البيت المشؤوم كما قال شقيقه، لا أدري لماذا فهد وحالته لم تفارق عقلي ذلك اليوم، أفكّر به طوال الوقت، أريد إجابة صريحة لتلك الأسئلة المكتظّة برأسي، من المستحيل أن تنتهي الحكاية عند هذا الحدّ، نظرت للورقة التي كتبت العنوان عليها وقلت بيني وبين نفسي، لماذا لا أذهب أنا لذلك المنزل، لعل وعسى أجد إجابات واضحة للكثير من الأسئلة التي يعجّ بها رأسي، الساعة الآن الثانية ظهرًا وهذا الوقت مثالي، كون المنزل ليس بالبعيد على مكان سكني.

انطلقت بسيارتي ناحية العنوان وصلت للشارع نفسه، تشابهت عليّ البيوت، فغالبا المنازل بمنطقة الظهر متشابهة، وتظنّ للوهلة الأولى أنّها غير مسكونة بسبب حالة الهدوء بهذا الوقت، وبعد تدقيق طويل وجدت البيت، على حسب العنوان الذي أعطاني إياه فهد، إضافة إلى عوامل الزمن التي تراصّت على أبوابه وحيطانه، وكثرت الصحف الإعلانية التي وضعت على الأبواب وهو دليل على أنّ المنزل لم يدخله أيّ شخص منذ مدة طويلة

كان بيتا واضحا لذوي الدخل المحدود، وقفت بجانبه أشاهد نوافذه الخارجية التي تطلّ بشكل مباشر على الشارع، وأبوابه التي تآكلت أطرافها وتقشّرت، أفكّر مليًّا هل أدخل للمنزل؟ أعتقد أنّها حماقة لو فعلت ذلك، لأن هناك تجربة قد عرفتها ليلة البارحة أنّ الداخل للمنزل لن يخرج منه أبدًا، وبينما أدقّق نظري وأسرح بخيالي بهذا المنزل، قطع وصلة تأمّلي صوت قادم من خلفي:

- إياك والتفكير بالدخول لهذا المنزل؟

التفت خلفي لأجد رجلًا يرتدي الدشداشة البيضاء الصيفية، وعلى ما أعتقد أنه في العَقد الرابع من عمره بسبب الشعيرات البيضاء التي انتشرت على

لحيته، وبعض التجاعيد الخفيفة التي غطّت بعض مساحات وجه، أجبته بابتسامة مرتبكة:

- لا أبدًا لن أفعلها، كلّ ما وددته معرفة قصّة هذا البيت

راح ينظر للمنزل بتأمّل ثم قال:

- لست أنت الزائرة الأولى، ولست أنت فقط من تريدين معرفة قصة هذا البيت، فهناك العديد من سبقوك سألوا السؤال المعتاد نفسه، ما قصة هذا المنزل؟ أسرار البيوت دائما ما تبقى مدفونة خلف أبوابها

نزعت نظّارتي من على وجهي وقلت له:

- أعتذر جدًّا على إزعاجك، لكن ما حكايته؟

أجابني متسائلًا:

- هل اتصل عليك فهد ليلة البارحة وطلب المساعدة كعادته؟

أصابتني الدهشة من ردّه وقلت له بذهول

- كيف عرفت ذلك؟

نظر لثوانٍ متأمّلًا وجهي وقال:

- أغلب الذين يأتون إلى هنا يسألون عنه، ويقولون إنّه اتصل بهم يطلب المساعدة، وكنت أحذرهم من الدخول للمنزل، هذا البيت في المساء يتحوّل إلى الجحيم الذي نسمع عنه، وكما ترين أغلب سكّان الشارع باعوا بيوتهم لأنهم أصيبوا بحالات رعب شديد نظرًا للقصص الكثيرة التي أشيعت حوله، وتحديدًا بعد أن وجدوا جثّة فتاة صغيرة مدفونة داخل إحدى الغرف.

ازدادت حيرتي وقلت:

- فتاة صغيرة لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها على ما أعتقد وترتدي بيجامة نوم!!

هزّ رأسه للتأكيد وقال:

- بالفعل كما تقولين، اسمها هديل، قتلتها زوجة أبيها

بدأت الأمور تتّضح برأسي وقلت له:

- ما قصة هديل بالضبط؟

قال لي:

- هذا البيت مهجور منذ خمس عشرة سنة، بعد أن اكتشفوا الجريمة، سجنت زوجة الأب، والأب دخل الطبّ النفسي، هديل هي البنت الوحيدة لصاحب المنزل، أمّها من إحدى الجنسيّات العربية، كما يقولون والدها استيقظ في يوم من الأيام، ولم يجد زوجته بالبيت، وظلّ يبحث عنها ليلَ نهارَ حتّى اكتشف أنّها غادرت البلاد، هنا تأكّد أنّ زوجته لا تريد البقاء، وتنازلت عن حقوقها كاملة، ومنها ابنتها هديل، على ما يبدو أنّ زوجته الأولى كانت لا تحبّه أو أنّ هناك مشاكل عديدة بينهم أدّت إلى هروبها، طبعًا تعلم أنّ الزوج لم يرض البقاء دون زوجة، فتزوّج من امرأة من بنات جلده، وكما هي العادة التصادم الكبير الذي يحدث بين زوجة الأب والبنت أو الأبناء، رغم صغر سنّ هديل، لكنّ الزوجة لم تطقها، وأصبحت تحاربها بشتّى الوسائل، تلقي عليها التهم، دائما ما تعبّئ رأس أبيها ناحيتها وتدسّ السموم به، فعلت كلّ شيء من أجل أن تقلّل من قيمة هديل، وفي إحدى الليالي وعلى ما أظنّ كما نقل لي حدثت مشاجرة بين الزوجة وهديل، مشاجرة مختلفة عن كلّ ما سبق من معارك باردة أو مباشرة.

هنا قاطعته قائلة:

- هل الزوجة اسمها سليمة؟

ردّ بعد تفكير بسيط:

- على ما أعتقد أن اسمها كذلك.

وأكمل حديثه

بعد هذه المشاجرة التي سمعها بعض الجيران القريبين من المنزل اختفت هديل، وبيّنت الزوجة أنّ هديل تشاجرت، وبعدها لم تجدها في المنزل، لكن والد هديل شكّ في الوضع إذ إنّ ابنته صغيرة، ومن الصعب هروبها من المنزل أو حتّى خروجها، و علاقته بأغلب أفراد عائلته شبه مقطوعة، فإلى أين ستذهب هديل؟

وبعد البحث والسؤال والتحرّي، لم يجدوا شيئا، فحاصرت الشرطة زوجة الأب بالأسئلة إلى أن اعترفت سليمة بجريمتها وانهارت أمام رجال الشرطة باكية، وبرّرت فعلتها إنّها ضربتها بعمود حديدي غير قاصدة قتلها بعد ثورة غضب، لكنّ البنت توفّت بسرعة

تقول سليمة على حسب ناقلين الحدث، إنّها ارتبكت كثيرًا بعدما تأكّدت أن هديل قد ماتت، ولم تجد أيّ طريقة لإخفاء الجثّة غير تلك طرأت برأسها حيث قامت بدفنها بإحدى الغرف بالطابق الأرضي التي كانت مخزنا للأثاث غير المستعمل ونادرًا ما كان أحد يدخلها، محاولة إخفاء جريمتها، وبعد هذه

الجريمة النكراء تشتّت العائلة، الأب ساءت حالته ودخل مستشفى الطبّ النفسي بعد الصدمة النفسية التي تعرض لها إذ إنّه فقد ابنته بطريقة غير طبيعية، والزوجة سليمة سجنت، والبنت توفيت.

بعد هذه الإحداث بفترة سمعنا أنّ سليمة ماتت في السجن، ومن هنا بدأت تحدث الأمور الغريبة بهذا المنزل، نسمع صراخًا بشكل يومي، بينما أكّد بعضهم أنهم يسمعون صوت فتاة صغيرة، ومرّات أشياء تشتعل وتنطفئ من تلقاء نفسها، وبعدها هذا كلّه ظهرت الشائعات تدور حول هذا المنزل أنه مسكون ويعيش به الجن

وبدأ الكثير خاصة محبّي المغامرات اقتحام المنزل من أجل التأكّد من صحّة تلك الأخبار، وهل حقيقة هذا البيت مسكون بأرواح أو جنّ أو ما شابهه ذلك، حتى تفاجأ قاطنو الشارع في أحد الأيام بوجود سيّارات الشرطة والإسعاف أمام البيت وهم يخرجون جثّة، كانت صدمة جديدة للجميع

عرفوا بعد ذلك أنّها لرجل دخل المنزل، ولم يخرج إلا جثّة هامدة، وبعد فترة حصلت حادثة أخرى، وتلتها حوادث آخرها كانت حادثة فهد، وكلهم يؤكّد أنّ روح الفتاة هديل تظهر بالمنزل لكل من يدخل وتحاول تستنجد من زوجة أبيها سليمة، وعلى ما يبدو أنّ روح سليمة هي الأخرى تعيش بهذا المكان، ومن ذلك اليوم أصبحنا نحن الجيران نمنع دخول أيّ أحد للمنزل خوفًا من حدوث أيّ مكروه لهم، بل طالبنا الجهات المسؤولة بهدم المنزل أو إغلاقه بشكل نهائي، وعملنا هذه السواتر وأغلقنا جميع النوافذ بالطابق حتى لا يدخل أحد، حتى الأبواب تمّ لحمها بالحديد خوفًا من دخول أحدهم، وعلى ما يبدو أنّ روح فهد هي الأخرى ظلّت محبوسة مع الأرواح الباقية، تتّصل بشكل شهريّ وبالتحديد ليلة دخولها للمنزل، وهي الأخرى تستنجد بالآخرين تطلب مساعدتهم وإخراجها من هذا المكان الحزين والمشؤوم، وعلى ما يبدو أنّ تلك الأرواح لا تستفيق إلا بساعات معيّنة من الليل، أمّا بالنهار، فيكون الوضع عاديًّا جدّا

هنا قلت له بدهشة:

- ولماذا أنا تمّ الاتصال بي؟

وقف الرجل حائرًا وقال:

- لا أعتقد أن هناك قانونًا محددًا تسير عليه روح فهد، من الممكن أنّها تختار الأرقام بشكل عشوائيّ وعلى ما يبدو أنّها اختارت رقمك، لا تخافي لم يحدث أيّ شيء لك، جميع من اتّصل بهم فهد أو غيره لم يصابوا بأيّ أذى، هي حادثة وتمضي لا تخافي كثيرًا

هنا انتهى الحديث مع ذلك الرجل، وطلب منّي عدم العودة أو التفكير بالدخول إلى هنا، لأنه من الممكن أن يصيبني مكروه، رجعت منزلي، والدهشة تكاد تقتلني، أفكّر بتلك الروح الهائمة التي تبحث عن من ينقذها، وأردّد بداخلي، بعض الأرواح تضيع بعد خروجها من الجسد وهي الأخرى تبحث عن من يساعدها تتيه بهذا العالم الكبير والفسيح.

لهذا الحدّ وانتهت الرسالة لم يكن بوسعي عدم تصديقها، شعرت أنّ صاحبة الرسالة تتحدّث بكلّ حرقة وألم، تفكّر بشكل يومي بتلك الحادثة البائسة، بروح فهد التي لا تزال محبوسة بذلك المنزل، حتى إنها طلبت منّي إيجاد حلّ لإنقاذ روح فهد من هذا المكان وإطلاق سراحه، هذه القصّة أثّرت بي بشكل واضح، إذ إني لم أجد أيّ وسيلة لإنقاذ روح فهد، أو تلك الأرواح التي ظلّت محبوسة بذلك المنزل البائس، أتمنّى تصديق تلك الأحداث فهي حقيقية بالفعل ومتعبة بالوقت نفسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ميلادٌ

الحقيقةُ لا تموتُ إلا بعد اكتشافِها

مرحبًا

أيّها الصديق العزيز كما ينادونك، أكتب لك بحزن وحسرة، الحقيقة لا تموت، تأكّد من ذلك، فهي تتبعك بكلّ الاتجاهات، وتسير خلفك بكلّ الطرق، على المتابعين الكرام معرفة ذلك، فالقصة التي حدثت لي تؤكّد ذلك، ما شجّعني على الكتابة عندما قرأت قصة غيبوبة في حسابك، تأكّدت أنني لو نشرت قصتي سيعرفون أن هناك أشياء تحدث خلفنا دون علمنا، الأقدار -أيضا- لها طرقُها الخاصّة في التعامل، وتقف مع الضعفاء أحيانًا، وحكاية غيبوبة تثبت ذلك، وقصّتي التي سأحكيها لك هي الأخرى أحد الدلائل الراسخة التي تؤكّد ما ذكرت

باختصار شديد ودون إطالة حكايتي، غريبة جدا، ومن الممكن إنها لن تصدّق أبدا، أتمنّى نشرها بكلّ تفاصليها وعدم حذف أيّ شيء منها، أريد الجميع قراءتها والاستفادة منها

إليك الحكاية يا عزيزي...

منذ اللحظة الأولى التي رأيتها، وأنا أشعر أن هذه الفتاة غير عادية، بعد أن وجدناها ملقاة أمام باب دار الأيتام ملفوفة بغطاء زهريّ، بعينين واسعتين ووجه أبيض كالثلج، هي العادة التي نجد بها دائمًا هؤلاء الأطفال البائسين، الذين يرمونهم أهاليهم من دون رحمة، خوفًا من الفضيحة، أو الهروب من المسؤوليات التي تأتي بغير موعدها، أجناس وأشكال مختلفة، وبين الحين والآخر نراهم مرميين يبكون بصوت يجعل كل هذا العالم يلين لهم إلا قلب والديهم اللذين تحوّلا إلى أحجار قاسية لا رحمة بها، وكانت سمية هي إحدى البائسات التي لفّت بتلك القماشة ورميت كأنّها دمية، اشترتها طفلة عنيدة ابتسمت لها في البداية وأهملتها بالخزانة دون أن تذكرها ثانية

أُدعى صلاح كما هو مدوّن في شهادة الميلاد، أرمل منذ ١٥ سنة، أعمل كمرشد اجتماعي في دار الأيتام بعد تخرّجي مباشرة، أتقدّم بكلّ قوة نحو سنّ الأربعين كأنني أسقط من شلّال جارف، مكان عمليّ مليء بالطاقة السلبية، والوجوه الحزينة والشاردة، ولا أخفي عليكم هذا المكان في البداية كان يشعرني بالحزن والسوداوية، وبعد وفاة زوجتي صار هو الملجأ لي الذي أعيش به أغلب أوقات حياتي، لا أعلم لماذا يشعرني بالراحة رغم كمية الطاقة السلبية التي تحتويه.

ولا أنكر أن يوم وصول سمية للدار، هو نفسه الذي جاءني خبر وفاة زوجتي بحادث مروري مؤسف، ورغم كلّ هذا إلا أنّ هذه الطفلة كانت تأسرني كثيرًا، وكنت أقول سمية لا دخل لها بموت زوجتي، الأمر كلّه مجرد مصادفة لعينة

يظنّ بعضهم أنّ تجربتي بالزواج ناجحة، لا تصدّقون ذلك فأغلب الزيجات، تعتبر مشروع اجتماعي فاشل، ربّما ينجح مؤقّتا، لكن يبقى فاشلًا بعيون مالكيه، ولا ينجح إلا في حالات نادرة، كالتحمّل والتضحية، واللامبالاة، والتطنيش أحيانا، أي يعني إذا كان كلا الزوجين يحمل هذه الصفات لربّما سفينة الحياة الزوجية تسير رغم القطع الثلجية التي تصطدم بها سفينتهما، وأنا أحد هؤلاء الأزواج الذي رضي مرغما بحياته الزوجية ولا أنكر أيضا، أنني كنت أمارس حياة سرية خارج المنزل بعيدا عن عيني زوجتي، ودائمًا أردّد لو يعود بي الزمن الوراء لن أكرّر خطأ الزواج

الأقدار لها طقوسها الخاصّة التي لا يعرفها أيّ أحد، مع تفكيري المتزايد بكيفية التخلّص من زوجتي، إلا أنّ حرب الشوارع قالت كلمتها، واجتثت روحها بعد أن كانت إحدى ضحايا هذه الحرب التي لا تعرف مَن طرفَيها، لا أدري وقتَها لماذا حزنت كثيرًا رغم أنني في وقت سابق كنت أتمنّى أن ألقيها بأقرب حفرة، أو أرتكب بها جريمة، واليوم هي ترحل بسرعة كبيرة، أذكر جيدا أنّني مررت بحالة نفسية سيّئة، هل هي العشرة التي تلقي بظلالها عليّ وعليها، لا أدري رغم أن زواجي كان أكثر من ستّ سنوات لكنّه كان زواجًا غير مستقرّ بسبب كثرت المشاكل، واليوم هي ترحل، تغيّرت حياتي بعدها كثيرًا، أصبحت قليل الكلام شارد الذهن غير محبّ للحياة، أتحين الفرص للابتعاد عن الناس والمناسبات الاجتماعية، وأغلب وقتي أقضيه في عملي أمارسه بكفاءة عالية، تركت كلّ شيء خلفي، رغم أنّ والدتي كانت تلحّ عليّ بالزواج من الثانية لكنّي كنت أرفض بشدّة، أعلم جيدًا أنّه شعور متناقض قاس، هل هو شعور الندم أو تأنيب الضمير لأنني لم أكن منصفًا مع زوجتي التي رحلت دون مقدّمات وجعلت هناك فراغا كبيرا في حياتي

كما تعلمون الحياة بها العديد من المنعطفات، ومنعطفي الأول بعد حياة زوجتي، هي تلك الفتاة التي ذكرتها في بداية القصة والتي أتت لدار الأيتام وهي ملفوفة بقماشه زهرية، أذكرها جيّدًا، والتي أسميناها سمية، خاصّة بعد أول لقاء بيننا، لا أدري لماذا كنت منجذبًا ناحيتها، هذه الفتاة دخلت قلبي بسرعة كبيرة، كأنّني أعرفها منذ زمن بعيد، ربّما هو شعور الأبوة الذي بدأ ينضج بداخلي ولكنّي لم أمارسه بشكل جيّد، أو ربّما فرصتي به قد انتهت، أصبحت عادتي أول كلّ صباح أذهب أزور جناح الأطفال

وأول شيء أفعله الذهاب إلى سمية أقف عند رأسها، أبتسم لها أداعب خدّيها، كانت طفلة جميلة، رغم أن موعد لقائها كان يرتبط بيوم وفاة زوجتي،

لكنّ هذا الأمر لم يشكّل أيّ حاجز بيني وبينها، كنت أردّد بسرّي دائما أنّ الله عوّضني بهذه الفتاة الصغيرة حتّى تسلّي حزني وتداعب آلامي، خاصة أنّني عندما أشاهدها أشعر براحة كبيرة، القدر دائمًا له طرقه الخاصّة في التلاعب بنا.

سمية بدأت تكبر، وبدأت أنسى زوجتي وذكرياتها، راح الشيب يجتاح مساحات من بعض شعر رأسي، كلهم أصبح يعرف تعلّقي بهذه البنت الحلوة، لا أخفي عليكم كم تمنّيت لو كنت أستطيع خطفها وجلبها لمنزلي تسلّي وحدتي، الأمر بغاية الصعوبة، دار الأيتام في الكويت تحكمه قوانين صارمة ومن الصعب على أرمل مثلي تخطّى تلك القوانين، هؤلاء الأطفال أولاد منهم أو فتيات، العالم دائما ما يضعهم على الهامش منسيون بعالم يملؤه الضجيج، لا أملك أيّ شيء لمساعدتهم وتغيير أقدارهم، لكن تلك الفتات كانت لها معاملة خاصّة منّي، سمية بدأت تسمّيني بابا صلاح، وكم كنت أفرح كثيرًا عندما تخرج هذه الكلمة من شفاهها، أتمنّى لو أحتضنها وأنطلق بها بعيدا، كلمة بابا كانت لها وقعها الخاصّ على نفسي، وكما هو القدر لا يستمرّ على حال واحد

التغيّر الذي حدث بقصّتي، بدأ عندما توقّفت سمية الصغيرة عن اندفاعها نحوي، وأصبحت في يوم وليلة تخافني، بمجرّد لمسها أو تقرب منها كانت تبكي بشدة، تنظر بتوجّس كأنني وحش أريد الانقضاض عليها، تهرب لأحضان المشرفات عندما أمُرّ بجانبها أو أحاول اللعب معها، حتى كلمة بابا صلاح، لم تعد تنطقها، كم أنت متمننه أيتها الأقدار تستكثرين عليّ سعادة بسيطة.

لا أذكر أنني قمت بأيّ عمل مريب اتجاهها، كنت أتصرّف بطريقتي الطبيعية، وطلبت منّي المشرفات الابتعاد عنها؛ لأنّ الأمر تطوّر كثيرًا، والبنت تخافك لحدّ الجنون، فهي لا تريد حتّى ذكر اسمك أمامها، كانت سمية في ذلك الوقت تبلغ الرابعة من عمرها، أتذكّر جيّدًا كمّية اليأس والخيبة التي انتابتني، فسمية بالنسبة لي أصبحت كلّ شيء، واليوم هي تهرب منّي كأنّي أحد هؤلاء المتوحّشين الذين لا يعرفون كيف يتعاملون مع الأطفال

مرّتِ الأيام سريعة في وضعها الطبيعي وبطيئة في حالات الحزن والاكتئاب، البيت والعمل هو روتيني الذي أمارسه، لا إثارة في حياتي أبدًا سوى أنّني أراقب نموّ سمية من بعيد لبعيد وهي تكبر، كنت أرتاح كثيرًا عندما أنظر إليها، لكنّي لا أملك الحقّ في الاقتراب منها، هذا أصعب شيء على العشّاق الذين مثل حالاتي

وفي أحد الأيام بينما كنت أمارس عملي في مكتبي بدار الأيتام، انتبهت أنّ باب غرفتي يفتح بهدوء شديد صريره المزعج جعلني في حالة ارتباك شديد، انتظرت أريد معرفة من وراء الباب، هنا برزت ملامح وجه سميّة وهي تمدّ

رأسَها ببطء، هالتني المفاجأة هي المرة الأولى منذ ستّ سنوات التي تزورني بها سميّة في مكتبي بعد غياب طويل، تبعثرت المشاعر بداخلي، لا أدري ماذا فعلت بي هذه الطفلة التي جعلتني كمراهق يخرج للمرة الأولى بصبحة فتاة، ارتبكت كثيرًا لم أنطق بأيّ كلمة، وعندما فتح الباب كلّه وقفت بكامل طولها تنظر لي بحدّة وغضب شديدَين، كأنني للتوّ فعلت أمرًا بغاية الخطورة ناحيتها لأكسر فترة الصمت المرتبكة وقلت:

- مرحبا سمية، هل أستطيع مساعدتك بشيء ما؟

استمرّت بالنظر وعيناها يكاد يتطاير منهم الشرر، ثم بعد ذلك قالت

- أنت أكبر وغد عرفته بحياتي.

وبعدها خرجت بسرعة كبيرة وأغلقت الباب بكلّ قوة

أصابني الذهول من هذا التصرّف، ومن أعطاها الحقَّ لتقول ذلك، هل أذهب وأوبخها على ما قالتها، لماذا كلّ هذا الحقد غير المبرر؟ ما الذي فعلت بها إنّ هذه الفتاة غريبة الأطوار بالفعل وأصبحت تتصرّف بغضاضة، معقولة نسيت كلّ تلك الأشياء التي فعلتها لها في وقت سابق، لماذا تتصرّف معي بهذا الشكل، يبدو أنّها تعاني من شيء عقلي.

طوال اليوم وأنا أفكّر بهذا التصرّف، حتّى إنّني أخبرت المشرفات بكلّ ما حدث، لكنهنّ لم يعطيانا أي إجابة وافية أو شافية، بقيت صامتا والأفكار تتقاذفني ككرة مطاطية صغيرة وسط أمواج عاتية.

هذه الفتاة قالت قولها هذا ورحلت، ومع مرور الأيام بدأت أنسي هذه الحادثة برمتها، وعادت حياتي كلّها لطبيعتها.

أمّا عن الحادثة الأخرى التي حصلت لي، ولا أعلم من فعلها، وبالتحديد في يوم خميس، فكنت متأخّرًا كعادتي في العمل منهمكا في تخليص بعض الأشغال المرتبطة بمركز الأيتام على الكمبيوتر، وقتها لم أشعر بالوقت بتاتًا، وهذا الشيء دائما ما يحدث في مرات عديدة، هنا انتبهت للوقت، وكانت الساعة تشير للخامسة مساء، ومن الطبيعي أن يكون قسم الإدارة خاليًا من جميع الموظفين، وبحكم أنّ مبنى الإدارة منفصل بشكل كامل عن المكان المخصص لغرف الأيتام الذي يعجّ بهم، نهضت بهدوء وتقدّمت نحو الباب ناويا المغادرة، وما إن وضعت يدي على مقبضه حتّى اكتشفت أنّه مغلق، حاولت مرارا وتكرارا ظنًّا أنّه علق بشيء ما ويحتاج بعض القوة حتّى يفتح، ولكنّ الباب كان موصدا من الخارج بإحكام شديد وبالمفتاح وهذا ما تبيّن بسبب تماسكه الشديد، هنا وضعت يدي على جيبي أبحث عن مفاتيحي، والمفاجأة الأخرى أنني لم أجدهم، أين اختفوا؟! بحثت بكلّ مكان لم أجد شيئًا، توقّعت

في البداية أنّني نسيتهم على طاولة المكتب أو في أحد الأدراج لكنّي لم أجد شيئًا.

هنا فكرت بهاتفي المحمول، والمصيبة الأكبر لم أجده هو الأخر، انتابني الخوف، هذا يعني أنني سأبقى بهذا المكان إلى يوم الأحد القادم، لا أدري هل سأصمد يومين بهذا المكان بلا ماء ولا زاد، حتّى النافذة الموجودة بالغرفة من الصعب الخروج إذ إنّها صغيرة جدا، إضافة إلى أنها محمية بالعديد من الأعمدة الحديدة من الخارج، وفوق هذا كله فهي تطلّ على مكان من الصعب أن يمرَّ بها أيّ إنسان، وأعتقد أنّ مبنى الإدارة يصبح مهجورًا في كلّ عطلة نهاية الأسبوع، قلت لكم من البداية، الجميع ينتهز أيّ فرصة للهرب من هذا المكان، وبالتحديد في أيام العطل الرسمية، إلا إن كنت أعتبره متنفسي الوحيد

بدأ الوقت يمرّ بطيئا، محمّلا بخيوط القلق والخوف، وهناك من بعيد أرى سراب الموت يقترب منّي رويدا ويبتعد رويدا يريد الانقضاض عليّ، صرخت من النافذة الصغيرة لعلّ أحدًا ينبته لصوتي لكن دون جدوى، يا لَحظّي البائس!

لم يفتقدني أحد فأنا شبه معدوم العلاقات مع الجميع، خاصة إنّ حياتي لا يوجد بها أيّ أصدقاء أو أحبّاء، أكاد أجنّ، لن تفتقدني سوى والدتي، وربّما لن تفعل ذلك، إذ إني أغيب عنها بالأيام، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لها

دخل الليل بهدوء جلست على المكتب لا أعرف ما الذي أفعله، المصيبة حتى جهاز الكمبيوتر الذي أمامي غير مزوّد بالإنترنت، مر يوم كامل وأنا محبوس، ولا أدري لماذا أنا مستسلم هكذا، مرّت الليلة حزينة كئيبة مخفية يتخلّلها العديد من الأفكار والهواجس، وبالتحديد هاجس الموت الذي كان سيد الموقف، لكنّي رغم هذا كلّه استسلمت لطبيعتي الإنسانية محاولًا تناسي كلّ الظروف التي حولي، لا أنكر أنني نمت على الأريكة الصغيرة، ونهضت منتصف الليل من الجوع والعطش

أفكّر قليلا من الممكن تحمّل الجوع، لكن العطش كيف التعامل معه، تذكّرت العديد من الأفلام التي شاهدتها سابقا وكيف كانوا يتعاملون مع مثل هذه الظروف، لا جدوى ظروفي استثنائية، هنا فكّرت قليلا، وقلت من له صالح بفعل هذا الأمر وسرقت مفاتيحي وهاتفي وإغلاق الباب من الخارج، أنا إنسان مسالم وليس لي إيّ عداوات مع أي أحد، مرّت الليلة ما بين النوم واليقظة والفزع، لا أنكر أنّ العطش أتعبني قليلًا، كما قلت الطبيعة الإنسانية بمثل هذه الظروف تتضاعف بداخلنا، فبالمواقف الصعبة نكتشف أننا نملك قوة غير عادية.

دخل الصباح يوم الجمعة، كنت يائسا جالسا باستسلام تامّ، وكما يقولون منتظرًا الموت، هنا سمعت حديثًا لا أدري هل أنا أتوّهم، نعم، إنّهم عدد من العمّال الأسيويين يتحدّثون بمقربة منّي، بدأ هرمونات التعلّق بالحياة تعمل عندي بشكل جيّد، رحت أصرخ بعالي صوتي عليهم وأنا أمدُّ ربع رأسي من تلك النافذة الحديدية الضيّقة، حتّى شعرت أنّ حبالي الصوتية ستتقطّع

انتبه العمال لهذا الصوت وراحوا يردّون عليّ بلغتهم العربية الركيكة، بينما شرحتُ لهم الوضع وطلبت منهم المساعدة، الدخول للمكان لكنّهم خافوا منّي، وظنّوني أحد اللصوص، حُشِرَ بهذا المكان، يا لَهم من أغبياء! أيّ لصوص يريدون سرقة هذا المكان؟، لكنّهم اشترطوا عليّ أنّهم سيتصلون بالشرطة، فوافقت بشكل مباشر، ومدّ أحدهم لي قارورة ماء صغيرة لتروي ظمئي، وبالفعل جاءت الشرطة بشكل سريع، وفتحت الباب دون كسره، تخيّلوا أنهم وجدوا المفاتيح والهاتف موضوعين على الكراسي الخارجية، معقول أنني نسيتهم ووضعتهم بهذا المكان قبل دخولي، من المستحيل قيامي بذلك !!!!

أكاد أجنّ من فعل ذلك، وطبعًا الشرطة لم تكذب خبرًا، وبدأت تحقيقًا كبيرًا بالموضوع، لأنه بعرفهم هي محاولة بالشروع بالقتل، لكنّهم لم يصلوا لنتيجة لأنني لم أساعدهم بأيّ شيء، وكما قلت لكم ليس لديّ أيّ أعداء، والمكان غير مراقب بالكاميرات، وانتهى الأمر على هذا المنوال، رغم التحقيق الذي فعلوه لم يصلوا إلى أيّ خيط، حتى أيقنت أنني نسيت المفاتيح والهاتف على الكرسي قبل دخولي

مرّ عام على هذه الحادثة التي شغلت بال جميع مَن كان يعمل معي بالمركز، دون أن نجد أيّ إجابة، حتّى أنا -أيضًا- كدت أن أنسي الأمر برمّته، واعتبرت أنه محاولة للسرقة، ولا أنكر أنني شككت بأحد الأولاد أو الفتيات الذين يقيمون بالمكان، فهناك العديد من السرقات التي تحدث، فبعض من يقيم هنا يرى أن كلّ أفعاله مباحة، إضافة إلى أن الأمر مرتبط بالهاتف الذي سيدخله عوالم جديدة تخرجه من وحشة دار الأيتام، لكن لنفترض أنّ أحدهم أراد سرقة الهاتف لماذا تركه على الكرسي ورحل؟

وطبعا أعتقد بدأت تعرفون إن الحوادث لم تنتهي عند هذا الحدّ، فالحادثة الأخرى حصلت عندما طلبتني رئيسة القسم، وفور وصولي تفاجأت أن إحدى الموظّفات قدّمت شكوى ضدّي، بسبب إرسالي إليها رسائل، كانت صيغة المخاطبة بها قريبة للتغزُّل، أو بمعنى أدقّ تحرّش، وتحريض على الفسق والفجور، هنا مددت يدي على هاتفي أريد إيضاحًا للمديرة أنّني من المستحيل القيام بعمل مثل هذا، ورحت أحلف، وأؤكّد حتّى إنّني بكلّ حُسن نيّة أعطيتها هاتفي لتتأكّد

الغريب بمجرد فتح "برنامج الواتس آب" اكتشفت من بين المحادثات أنّ هناك محادثة مباشرة مع الموظّفة المقصودة، أصابني الذهول، صدمت بشدة كبيرة، ومن أين أتت هذه المحادثة البغيضة، ظلّت رئيسة القسم تنظر لي بصرامة وهي تهزّ رأسها بيأس، كأنّها تريد إيصال رسالة واضحة لي، تقول من خلالها، يبدو أنك فقدت عقلك وذاكرتك في الوقت نفسه.

بعد هذا الموقف تمّ توقيفي عن العمل، وأُحلّت للتحقيق الذي استمرّ أكثر من أربعة أشهر، ولولا حسن سلوكي وسيرتي المفعمة بالإنجازات، مع تنازل الزميلة الشاكية عن شكواها، لمّا رجعت مرة أخرى إلى مكتبي

كنت أفكّر طوال الأيام الماضية مَن له صالح بزجّي بمثل هذه المشاكل، أنا إنسان مسالم واحتكاكي مع الناس بسيط جدًّا، من المنزل إلى العمل ومن العمل إلى المنزل، بصراحة قائمة أعدائي ليست طويلة، وحتّى لو كان لي أعداء ليسوا بهذا السوء، منذ ذلك اليوم بدأت آخذ حذري بشكل كبير جدّا، حتّى لا أقع في المحظور أو تصيبني مصيبة من خلالها سأزجّ بالسجن، الأدهى كيف لذلك الشخص سرقة هاتفي والعبث به أسئلة لم أجد لها أيّ إجابة ؟ لكنّي قرّرت الانتباه في المرّات القادمة بشكل أكبر

ومنذ اليوم الأول الذي عدت به إلى عملي، حصلت لي زيارة غير متوقّعة بتاتا، وكانت من سميّة، تلك الفتاة التي أحببتها من كلّ قلبي، وطبعًا تعرفون حبّي لها حبًّا أبويًّا خالصا، إنّها كبرت قليلًا، وبدأت ملامحها تتّضح بشكل كبير، ووجهها يتلألأ أمامي، يبدو أنها وصلت للعاشرة من عمرها، خاصة أنّ وجهها بدأت ملامحه تتغيّر، ثمّة نظرة تشمت وتشفّي في عينيها، مرّت بهدوء ومن ثم ذهبت، من دون أن تتحدّث بكلمة، لا أدري لماذا هذه الفتاة تتصرّف معي بهذه الطريقة، لم أكترث كثيرًا بها، لأنها أصبحت بالنسبة شيئًا عاديًّا

عادت حياتي لما هي عليه، وانخرطت بأشغالي ونفسي، ولم أكترث لأيّ أحد، حتّى إنني نسيت كلّ ما مضى، لكن بعد خمسة أعوام من مشكلتي السابقة، حصل الحدث الأكبر الذي جعلني أعيش بحالة صدمة وحالة ذهول ليس لها أيّ مثيل، ولكن هذه المرة بشكل مباشر، عندما كنت أجلس وحدي كعادتي كل ليلة في شقّتي الصغيرة أتابع بعض القنوات الفضائية أتنقّل بينها بمَلَل، بمحاولة منّي لاستجلاب النوم، الساعة كانت وقتها العاشرة مساء، وكلّ الأجواء تدعوك للذهاب إلى الفراش، كانت الإضاءة في الصالة التي أجلس بها شبه خافتة، وعيني يغمضان من تلقاء أنفسهم بسبب حالة الصمت المحيطة بي، حتّى فجأة وبينما أنا أركّز نظري على الفراغ الذي حولي، شعرت أنه خيال أحدهم مرّ بجانب باب المطبخ، هنا فتحت عيني بتركيز عالٍ، وبدأت أفكّر هل ما رأيته حقيقي أم هي مجرد أوهام؟

جلست لدقائق معدودة أفكّر أحاول إعادة ترتيب أفكاري، لكن بعدها حسمت الأمر ونهضت متوجّها نحو المطبخ بخطوات حذرة وبطيئة، أريد التأكّد ممّا شاهدته، ابتلعت ريقي قبل الدخول بشكل مباشر للمكان، استجمعت شجاعتي ثم دخلت بشكل سريع، لأكتشف أنّ المكان كان هادئًا ولا يوجد به شيء حتى إنّ المطبخ صغير، ومن الصعب على أحد الاختباء به، درت بعيني بالمكان لم يكن هناك أيّ شيء يدعوني لكل هذا الخوف، هنا اكتشفت أنّ ما رأيته قبل قليل مجرّد وَهمٍ وعلى ما أظنّ أنّ النوم بدأ يؤثّر بي، لأعود بعدها وأغلق التلفاز وأذهب للفراش

اندسست تحت اللّحاف الدافئ وهي عادتي دائمًا ما قبل النوم أراجع حالة يومي، أقلب حساباتي برأسي، أفكّر بجدول الأعمال التي سأقوم بها يوم الغد، وطبعًا وبينما أنا أغوص بتلك الأفكار لا أشعر إلا وعيناي تغمضان وهم يدخلاني لعالم الأحلام الحقيقية، وطبعا لا أستيقظ إلا على المنبّه، ولكن بهذه الليلة كان الأمر مختلفًا، نهضت على صوت خطوات في غرفتي، قمت متثاقلًا وعلى وجهي كمّية نعاس كبيرة، أتساءل هل هي صوت خطوات حقيقية أم أوهام كما حصل لي قبل النوم؟

لحظة هناك شيء بالغرفة إحساسي لا يُخطئ أبدًا، كان المكان شبه مظلم وبالكاد أميّز الأشياء القريبة منّي، الأمر يتطلّب منّي الذهاب نحو مفاتيح الإضاءة وفتحها، وبالفعل هذا ما قمت به وعندما أنرت المكان كانت المفاجأة الصاعقة التي أخرستني من هول الصدمة، وبالتحديد عند دولاب ملابسي، شيء يقف على قدميه وينظر لي بخبث كبير، تراجعت للوراء قليلا وكل قطعة في جسدي ترتعش، لأخرج من الغرفة محاولا الهروب، لا أدري وقتها لماذا ذهبت للحمام واختبأت به، سمعت خطوات ذلك شيء يتقدّم نحو الحمّام، محاولًا فتح الباب، يبدو أنه لصّ يحاول السرقة، لحظة إي لصّ غبي يصدر ضوضاء إنّ المسألة تعدّت مرحلة اللصوص، هذا شيء غير عادي

لا أعلم كيف أتصرّف وأنا محبوس بهذا المكان، مر أكثر من ربع ساعة وأنا حائر هل أخرج وأواجه هذا الشيء، أم أبقى بمكاني، حزمت رأيي على الخروج، وكنت أتوقّع أن اللص قد رحل، طبعًا هذا ما كنت أتمنّى، لم يكن بالحمّام سوى عصا المكنسة اليدوية، خرجت متسلّحا بها كالعادة، وأنا على علم أنّ هذه العصا لن تفعل أيّ شيء

رحت أنظر بخوف وحَذَرٍ شديدَين للمكان، أرصد كلَّ شاردة وواردة، كنت خائفًا بشكل غير عادي، بحثت طويلًا بين الغرف، لم يكن ذلك الشخص الذي رأيته بالغرفة موجودا، هل هرب؟ غير معقول!

بعدها عدت أدراجي لغرفتي متوجّها نحو هاتفي المحمول أريد الاتصال بالشرطة، وفور وصولي تفاجأت لمّا رأيته، كانت صدمة كبيرة وغير متوقّعه، العديد من الصور التي وضعت على سريري، كانت كلّها صورًا لي أنا وزوجتي المتوفّاة بالإضافة إلى بعض الأوراق، شهادة الوفاة وتقرير الوفاة، وصور الحادث الذي حصل لها، من قام بفعل كلّ هذا؟ ولماذا؟

العديد من الأسئلة التي لم أجد لها أيّ إجابة، أي لص يدخل البيت ليقوم فقط بوضع العديد من الصور الخاصة بي على سريري، مع بعض الأوراق ويرحل، لم أجد أيّ إجابة، ليقطع موجة الاستغراب الغارق بها صوت إغلاق باب غرفتي من خلفي بكل قوة، لألتفت بعدها لأجد ذلك الشيء خلفي قفزت من مكاني بعد حالة الغرابة التي كنت أعيشها، يبدو أنّها امرأة ترتدي عباءة ووجها مغطّى بالكامل، كانت تقف عن باب الغرفة وتنظر لي، لكنّها لم تتفوّه بأيّ كلمة، هنا قلت بخوف

- من أنت وماذا تريدين مني؟

لم أجد أيّ إجابة، وقفت لثوانٍ أحاول استجماع قوّتي، أتنفّس بشدّة، أفكّر من هذه التي تقف بكلّ شجاعة أمامي، حتّى شعرت أنّها تحاول تخرج شيئًا، هنا قلت لها محذّرًا وأنا أحرّك العصا التي كانت بيدي

- إيّاك القيام بأيّ عمل متهوّر.

لم أجد منها أيّ إجابة منها، بل أكملت عملها غير مكترثة بتهديدي وهي تستخرج شيئًا، ظننته في البداية سلاحًا، وبعد ثوانٍ تغيّر المشهد الذي توقّعته، وكانت صورة على ما يبدو، قالت هنا بصوتٍ على ما يبدو أنه لفتاة.

- أعتقد تعرف جيّدًا هذه الصورة، إنّها لك أنت وزوجتك في ليلة حفل زواجك، الصورة على ما يبدو لا تعني لك الكثير، وفي الوقت نفسه تثير بداخلك العديد من التساؤلات، وما سبب كلّ هذه الصور وبعثرتها لماذا بهذا الوقت، أعلم جيّدًا أنك لا تدرك لماذا أنا موجودة الآن هنا وبهذا المكان وبهذه الساعة أمامك، أمر يثير الاستغراب، إضافة إلى أنني أعيد أشياء مضى عليها أكثر من ١١ عامًا، وهي الآن تعود، الماضي دائمًا يسير خلفك إذا لم تعطه حقّه، حتّى يأتي يوم ما ويأخذ حقّه بالكامل، وهو هو الآن يأتي مجسّدًا بي

ماذا تقول هذه المجنونة، أحاول أتركيز على ملامح وجهها لكن لا أستطيع أبدًا، بسبب شعرها الكثيف الذي يغطّي أغلب ملامح وجهها، هنا قطعت لحظات الارتباك وقلت

- من أنت إذن؟

قالت بكلّ ثقة:

- أنا زوجتك دلال.

لم أهتمّ كثيرًا لما قالته، وأجبتها..

- دلال توفّيت منذ أكثر من أحد عشر عاما، عن أيّ دلال تتحدثين؟، ولماذا تذكرينها بهذا الوقت؟

أجابتني بثقتها المعتادة نفسها مع ضحكة استهزاء بسيطة.

- جيّد أنك تؤكّد أن دلال ماتت، لكنّها ماتت بفعل فاعل، وليس كما تعرف أنها ماتت بسبب الحادث الذي حصل لها، وأنت تعلم جيدا أنك السبب

هنا عمّ الصمت قليلًا وأنا أكاد أجنّ، لأنها تعرف الكثير، قاطعتها قائلا:

- يبدو أنك أخطأت عنوان شقّتي، أو أنك تتحدّثين عن دلال أخرى غير زوجتي المتوفّاة، إذا لم تخرجي حالًا من الشقّة، فسأضطرّ لإبلاغ الشرطة، بسبب اقتحامك المكان دون أيّ استئذان.

ابتسمت باستهزاء وقالت:

- لن تتجرّأ وتتّصل بالشرطة أبدا، لن أجبن من ذلك، وكوني أنا أيضا لدي العديد من الدلائل التي تؤكد أنك القاتل الحقيقي لزوجتك دلال

جلست على السرير محاولًا استيعاب ما يحدث، كيف لهذه الفتاة أن تعرف كلّ هذه الأمور، السرّ مات مع دلال

قاطعت لحظة شرودي وقالت:

- كانت ليلة ممطرة، كنت وقتها للتوّ عائد من الخارج، وكانت دلال تنتظرك بغضب شديد بعد الصدمة التي هالتها بسبب اكتشافها لخيانتك، كنت تظنّ أن الأمر سيمرّ مرور الكرام خاصّة أنها عثرت على هاتفك المحمول غير الذي كنت تستعمله، وأدهى من ذلك أنها قامت بالاتصال على الأرقام التي قمت بها مؤخّرًا وكانت لرقم واحد فقط لتكتشف -أيضا- أن من يجيبها امرأة، وعندما أجابتها قالت اسمك بشكل مباشر

وقتها لم تكن تعلم بأي شيء كنت عائدًا بهدوء، بينما دلال لم تستطع إخفاء غيظها وانفجرت في وجهك تكيل عليك العديد من الشتائم والاتهامات تريد إجابات واضحة وصريحة عن كلّ هذا العبث، لكنّك وقفت أنت الآخر مكفوف الأيدي ومذهولًا، لما يحصل

بعد ثوانٍ استطعت أن تستعيد تركيزك، وقمت بالردّ عليها محاولًا تبرير خيانتك التي كانت واضحة كوضوح الشمس، فوجدت نفسَك محاصرًا من كلّ اتجاه

حتّى بالأخير أذعنت لها ورضخت لغضبها وانهيارها الكبير، وحاولت قدر المستطاع أن تطلب منها نسيان ما حدث وعدم تكراره

يا لوقاحتكم أيها الرجال! دائما تجدون العذر لأخطائكم بينما نحن النساء لا مغفرة لزلّاتنا، أذكرك جيدا يا صلاح كنت تحاول قدر المستطاع، إطفاء نيران غضب زوجتك التي كانت تستعر بشكل تدريجي في المكان، تريد أن تخرج من هذا المأزق، وجنّ جنونك عندما علمت أنّ زوجتك لا تريد إنهاء الموضوع بينك وبينها وتريد إخبار والدتك ووالدها في الوقت نفسه، أعلم جيدا أنّك لن تشعر بذلك الإحساس بالمرأة عندما تطعنها بالخيانة

لتحزم أغراضها من غرفتها وتخرج مسرعة نحو سيّارتها، بينما أنت فشلت فشلًا ذريعًا في تهدئتها، انطلقت بسيّارتها مسرعة نحو منزل أهلها، وأنت لحقتها بالسيّارة تريد قدر المستطاع تعطيل وإيجاد حلول أخرى بعيدا عن معرفة الأهل، لم تعطك دلال أيّ فرصة وانطلقت نحو منزل أهلها، كانت تسير بسرعة جنونية، كانت الأمطار وقتها تهطل بغزارة، وبالكاد بهذا الطقس ترى أمامك بالشارع، كنت تسير بجانبها والمكان الذي تسيران به شبه خالٍ، كون الساعة كانت تشير إلى الثالثة والنصف فجرًا

لم تجد أيّ وسيلة لإيقافها، وكنت في الوقت نفسه تحمل بصدرك غيظا كبيرا ناحيتها، إضافة إلى أنك لم تحبّها في يوم من الأيام إذ إن زواجكما كان زواجا تقليديا بائسا، فخطرت على بالك فكرة شيطانية، فكرة لم تستطيع وقتها إيقافها، تريد من خلالها وضع حدٍ كامل لكل ما يجري، فاندفعت بسيّارتك وراءها، وزدت من سرعتك محاولًا الاصطدام بها من الخلف، وكان لك ما تريد، عندما اختلّ توازن سيارة زوجتك، فلم تعرف كيف التصرّف بمثل هذا الموقف، خاصّة أنها كانت مسرعة، غير ذلك كان الشارع غارقا بماء الأمطار والأرض زلقة لتصطدم بالحاجز الإسمنتي، لتنقلب سيارتها بشكل جنوني وسط الشارع الكبير، ووسط ذهولك لأنك لم تصدّق وقتها أنك قمت بفعل هذا العمل الشنيع

كنت مذهولا من تصرّفك هذا، كيف فعلتها، كيف تجرّأت وقمت بهذا العمل القاتل، أنت متأكّد الآن أنّ زوجتك قد ماتت، فالحادث كان شنيعًا، حتى إذا لم تمت فستصيبها عاهة مستديمة على أقلّ تقدير، توقّفت على جانب الطريق ورحت تنظر من بعيد لما حصل والأمطار تغطّي نصف المشهد الحزين، هنا انطلقت مسرعًا نحو منزلك، لا تدري ماذا تفعل، كنت خائفا وقتها ومرتبكا، ولكنك في الوقت نفسه تريد أن تكون على طبيعتك حتى لا يشعر أحد أن الحادث حصل بفعل فاعل، وكل ما حصل بسبب الأمطار

ووجدت بعد تفكير طويل وأنت غارق تحت مرش الحمام تريد تهدئة أعصابك التي كانت تكاد تنفجر، الطريقة التي تبعدك عن كلّ الشبهات، كون كلّ الظروف كانت مهيّأة عن ابتعادك عنها

أول ما فعلت أنك حاولت الاتصال بها أكثر من مرة، ثم ارتديت ملابسك وانطلقت نحو عملك، وما إن وصلت حتّى قابلتك إحدى المشرفات وهي تحمل بيدها فتاة صغيرة ملفوفة بقماش وردي، جميل اطلقتم عليها فيما بعد اسم سميّة.

وبعد ساعتين تقريبا على وصولك إلى عملك حتى رنّ هاتفك من قبل والد زوجتك يبلغك بوفاتها بالحادث الذي حصل لها، وطبعا أنت تظاهرت بالصدمة والذهول والحزن، وانطلقت مسرعًا نحو منزل أهل زوجتك، تحكي لهم ما حدث ليلة أمس معها، المصيبة أنك استطعت أن تتقن دورك بشكل مثاليّ، حتّى الشرطة وقتها لم تشكّ لحظة بك، وكما قلت لك جميع الظروف كانت تقف بجانبك بشكل غريب وغير واقعي، كلّ ما حصل أنّ أهل زوجتك بعد هذه الحادثة قطعوا كلّ حبال الوصل بينك وبينهم، كونك أحد الأسباب التي دفعت ابنتهم للموت، لكن بنظرهم غير قاصد، والظروف هي من قالت كلمتها، خاصّة أنّ الشرطة بحثت بالموضوع ولم تجد أيّ دليل قويّ ضدَّك كون الحادث كان قضاءً وقدرًا

والقضاء والقدر لم يتوقّف عند هذا الحدّ كما تظنّ، بل ستدور الدوائر يومًا ما وتقول كلمتها ناحيتك متمثّلة بي. الحقيقة لا تموت إلا بعد اكتشافها

لم أجد أيّ إجابة واضحة وصريحة كنت مندهشًا إلى أبعد حدّ، كيف عرفت هذه الفتاة بكلّ هذا، لم يكن وقت الحادث أيّ شخص بالشارع وقتها، إنّها تعرف كلّ التفاصيل حتّى الدقيقة منها

كنت أنظر لها في ذهول، أريد إجابة واحدة وصريحة، كيف عرفت كلّ هذا، وفي الوقت نفسه إذا كانت موجودة وقت الحادث لماذا لم تبلّغ الشرطة عندها، لأقطع وصلة الارتباك التي كنت بها وقلت:

- كأنّك حاضرة معنا، أكاد أجنّ

قالت بثقة كبيرة:

- بالفعل وقتها كنت معكم

نظرت لها بسرعة وأنا أضع يدي على رأسي أحاول استيعاب ما يحدث، وقلت:

- من أنت إذن، لماذا تحاولين إخفاء وجهك عنّي؟، الحقيقة الآن واضحة، وأنا معك نلعب على المكشوف

هنا تقدّمت نحوي، ثم بدأ شعرها الذي يغطّي وجهها نفسه ينزاح، ويكشف عن ملامحها، هنا كانت الصدمة الأخرى، الصدمة التي لا أعرف كيف أقولها لكم إنّها سميّة، سميّة فتاة المركز، اللقيطة التي جاءت بيوم وفاة زوجتي نفسه، وقالت:

- الماضي لا ينسى أحد، فهو يحمل ذاكرة خارقة فوق ما تتصوّر، واليوم ماضيك تجسّد بي

جلست على حافة سريري الذي كنت واقفا عنده، أحسست بدوار كبير برأسي، ثم رحت أنظر لها في ذهول، أريد ترتيب ما برأسي

- سمية لم تكوني مولودة عند وفاة زوجتي، كيف تعرفين كلّ هذا؟

ثم سكت قليلًا متذكّرًا شيئًا مهمًّا حدث قبل خروج زوجتي دلال من المنزل في ذلك اليوم

- إذا كنت بالفعل وقتها حاضرة معنا، هل تذكرين ما حدث قبل خروج دلال من منزلنا وبالتحديد ماذا حصل بالضبط؟

- ابتسمت بمكر وقالت:

- طبعا أعرف جيّدا ما حدث قبل (خروجي وخروجها)، قمت بتحطيم هاتفك بعد أن ألقيته على الأرض تريد إخفاء أيّ دليل، بينما زوجتك كانت تقول لك كلّ المحادثات والأرقام قد صوّرتها من هاتفها، وأنت -أيضا- بعد وقوع الحادث نسيت هذه الجزئية وخفت أن تكون زوجتك قد أبلغت أهلها بهذه التفاصيل، أو أن الشرطة تكتشف هذه الرسائل وتكون دليلًا على أن الحادث وقع بفعل فاعل، لكن للأسف الهاتف تحطّم -أيضا- بالحادث

إنّها تعرف كلّ شيء، لم يكن وقتها أيّ شخص معنا، كيف عرفت كلّ هذا كيف؟ أمر يثير الاستغراب، نظرت لها مجدّدًا وعيناي كلّها أسئلة تريد الإجابات عن ما يحصل

لم تعطني أيّ فرصة وباغتتني قائلة:

- دلال أنا وسمية أنا، أنا روح دلال تجسّدت في جسم وعقل سميّة، أنا أحمل كلّ ذاكرة دلال بتفاصيلها الكاملة، أعرف كل شيء عنها، البداية حصلت عندما وصلت للرابعة من عمري وبالتحديد في المركز الذي تربيت فيه، وكنت أميل ناحيتك بشكل كبير، أشعر بتقارب روحي ونفسي ناحيتك، وكنت المقرّب لي من بين الجميع

كانت هناك أطياف تمرّ عليّ ما بين الحين والآخر ناحيتك، كأنّه حُلم يراودني، نيران، كأنّي أنقلب، وأشياء كثيرة تصطدم بجسدي، مياه تحاصرني من كلّ اتجاه، والشيء الذي ظلّ عالقًا بمخيّلتي، مساحات السيّارة التي تتحرّك سريعًا أمامي، وقتها لم أفهم هذا المشهد، وكنت أظنّه أمرًا عاديًّا يحصل لأي أحد، هذه التخيلات والأحلام كانت تراودني كثيرًا، أشعر بعدها بتعب شديد، بالخامسة، بدأت صورتك تظهر بمخيلتي بأشكال مختلفة، مرة كأنّك تلبس "البشت" ومتزيّن هناك من هي بجانبك، لا أدري لماذا يحصل هذا، وما هذه المشاهد التي تظهر كوميض بعقلي ما بين الحين والآخر،

حتّى وصلت للسادسة من عمري، وراح مشهد مساحات السيارات التي تتحرّك، ومشهد آخر كأنّه امرأة تصرخ على أحد وتبكي، امرأة تخرج وهي تبكي بجوّ ممطر، رجل يصرخ ويهدّد، مشهد آخر كأنّ هناك امرأة محاصرة بمكان وجسدها يرتطم في مكان ضيّق، لم أنتبه جيّدًا لملامح وجوههم، ولا أعرف كيف أقول ما يحصل لي من تخيّلات للجميع، لكنّ هذه الأشياء تظهر وكأنّها، أزهار تتفتّح وتغلق بعقلي، أشعر أنّني أقترب من الحقيقة كلّ ما كبرت يومًا بعد يوم، حتّى بالأخير وصلت للحقيقة

الحقيقة التي أكّدت لي أنّ الشخص الذي يصرخ، هو أنت الشيء الذي كان يبتسم وهو يرتدي "البشت " هو أنت، حتّى جاء ذلك اليوم عندما تعرّضت لوعكة صحية، وارتفعت حرارتي بشكل مخيف حتّى إنّها وصلت لـ٤٠ درجة، وهو مؤشّر خطير، وظنّ الجميع أنّني سأموت، في أثناء هذا الوقت كنت أرى المشاهد بوضوح وأنا شبه مغيبة، أراك أنت تتعارك مع دلال، أرى غضب دلال أرى حياة كاملة لنفسي بزمان ما ووقت ما، وبعدما أفقت وتعافيت من مرضي، شعرت أنّني دلال، ونسيت سمية، ذاكرة دلال كلّها واضحة بعقلي وجسدي، وأول شيء تذكّرته خيانتك لي، ووجدت إجابات صريحة وواضحة لكلّ تلك الومضات والتخيّلات والأحلام التي أراها أمامي، حتّى مشهد مساحات السيارة الذي يتكرّر كثيرًا عليّ عرفَته وعلمَت أين رأيته، إنه آخر ما رأيت قبل وفاتي بجسد دلال آخر ما رأيت، ومن ذلك اليوم وأنا أكرهك، أكن لك كل البغض والحقد، أتحيّن كلّ الفرص لكي أؤذيك، ولا أنسى نظرتك الشيطانية عندما اقتربت منّي قبل اصطدامك بي هي اللحظة التي حسمت الموضوع بالنسبة لي

هنا قاطعتها وقلت:

- يعني أنت الآن تتحدّثين معي بروح وذاكرة دلال، هذا شيءٌ مستحيلٌ، أمرٌ بغاية الغرابة

أجابتني بهدوء:

- هناك أمور خارقة للعادة تحدث لناس معيّنين، ربّما الأرواح شيء لم يفهمه الإنسان إلى الآن لكنّه أمر به العديد من المعجزات والأشياء التي لن تفهمها مهما عملت، وظواهر لن يصدّقها أيّ بشري، وظاهرتي التي حدثت لي ما يسمّى بالتقمّص، أو تناسخ الأرواح، عندما انتقلت روح دلال وذاكرتها كلّها إلى جسدي، وراح تومض ما بين الحين والآخر.. حتّى بالأخير استوعبت كلّ ما يحصل لي وفهمت هذه الظاهرة التي قرأت عنها الكثير وفهمتها بشكل جيّد

حتى هذه اللحظة لم أدرك ما تقول سمية أو دلال، عقلي يكاد يجنّ عن أيّ ظاهر تتحدّث، ولكن كلّ الدلائل تؤكّد أنّها تعرف كلّ شيء عن تفاصيل حياتي، وبالتحديد الحادثة التي حصلت قبل وفاتها تعرف أشياء لا يعرفها إلا زوجتي دلال، هنا تذكّرت شيئًا وقلت لها:

- يعني أنت سبب كلّ الأحداث التي حصلت لي مؤخّرا في مقرّ عملي، حادثة إغلاق الغرفة وحبسي داخلها وحادثة الكمبيوتر التي سبّبت لي مشاكل مع زميلتي بعملي والتي بسببها كدت أن أفقد وظيفتي، وغيرها من الأحداث الأخرى.

قالت لي مع ابتسامة ماكرة:

- كنت أكرهك أكرهُك بشدّة، وتمنّيت قتلك، لكنّي وجدت أن تعذيَبك بهذه الأشياء أفضل من موتك السريع الذي سيريحك، وسأستمتع كثيرًا عندما أسمع أخبارك التي تتناقل كثيرا من المركز، وتمنّيت لو أنني عملت أكثر من ذلك.

نظرت لها بحسرة وألم وندم شديدًين وقلت:

- بالفعل الماضي لا ينسى، لكن لماذا لم تكشفي كلّ هذه الأمور وقتها؟

أجابتني:

- لو تحدّثت من دون دلائل لن يصدّقني أحد، سيقولون لقيطة ومجنونة عشقت أحد الموظّفين الذين يعملون بالمركز بسبب نقص العاطفة وتريد التعويض، انتظرت حتّى أصل للسنّ هذا الذي تراه أمامك، حتى أستطيع التحكّم بالأحداث والاعتماد على نفسي، واليوم أستطيع الخروج من المركز وركبت سيّارة التاكسي، ودخلت شقّتك بعد أن سرقت مفاتيحك ونسختهم على مفتاح الشقّة، ودخلتها اختبأت بها منتظره لحظة وصلت لكي أستطيع إيجاد الدليل القاطع والجازم على أنك أنت القاتل الحقيقي لزوجتك دلال، وبالفعل وجدت العديد من الصور التي تؤكّد ما يدور بذهني

هنا تحرّكت ثم مدّت يدها على شيء كان موضوعًا على أحد الرفوف الكثيرة الموجودة بالغرفة، على ما يبدو أنها كامرة تسجيل ثم قالت:

- الآن أملك الحقيقة كاملة على لسانك، ومن الممكن أن أقدّمها للعدالة، حتّى ترتاح روح دلال في قبرها، وسأقدّم هذا الدليل لوالد دلال، وأقول له الحقيقة من أجل الانتقام منك

سقطت على ركبتَي من اليأس، ثم انحنيتُ على الأرض وبكيت بشدة، وقلتُ كنت أكرهها وأحبّها بنفس، أبغضها وأميل إليها، لا أعلم ما تلك المشاعر المتناقضة، حتى وصلت لحالة من اليأس هي الأخرى كانت مقصرة مع في بعض واجباتها، لنصل إلى هذه الحقيقة والنهاية الدامية

لن ينفعك شيء الآن يا صديقي العزيز أو زوجي، انتهى كل شيء ولا بد من تقديمك للعدالة

رحت بعدها اضحك بهستيريا كبيرة، هستيريا لا أعلم من أين انصبت على جسدي، بينما سمية تركتني ورحلت بهدوء من المكان، وبعينها لمعان الانتصار

وها أنا الآن أقص لك حكايتي من خلال مستشفى الطب النفسي، أقص لك يأسي وحزني، فبعد أن قدمت سمية التسجيل الخاص لوالدة زوجتي، التي بدورها قدمتها للشرطة، والذين قاموا باعتقالي وتقديمي للعدالة لكن القاضي شك بقواي العقلية وطلب تحويل أوراقي للطب النفسي حتى يتأكدوا من حالتي الذهنية، هذه حكايتي باختصار، إلا تعتقد إنها شبيه بقصة غيبوبة ؟

بالفعل قصة صلاح شبيه جدا من حكاية غيبوبة، وبنفس ظروفها، ولا يزال موضوع تناسخ الأرواح أو التقمص ظاهرة غريبة لم يجد العلم والعلماء أي تفسير علمي واضح له، والحقيقة إن هذه الظاهرة حصلت للعديد من الأشخاص على وجه الأرض، والعلم ما بين متشكك ومكذب لما يحصل لأنه لم يصل للحقيقة الدامغة حتى هذه اللحظة أما صلاح لا أعرف ما حدث له، هل بقي بمستشفى الطب النفسي، أم إنه تم تحويله للسجن وتم القصاص منه ؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البُومَة

من لا يعرف الهروب من واقعه، يمت حيًّا

أيّها الصديق تحيةً مرصّعة بالأشواق الحارّة لك

ما سأقصّه عليك لم يحصل لي أنا بالذات بل حدث منذ زمان بعيد في مكان بعيد، لا أدري هل بالفعل هذا ما حدث، وكلّ ما في الأمر أنّني في يوم من الأيام، دخلت غرفة جدّ أبي ذلك الرجل الذي مات منذ مدة طويلة، لكن بقيت غرفته مغلقة ممنوع الاقتراب منها، بأوامر أعلي من أبي الذي دائمًا ما يقول لنا إنّها وصية والده، ومن ذلك الوقت لا يقترب منها أحد، أو ينظر لبابها العتيق أحد، لكنّي كنتُ أتحرّق شوقًا لدخولها والكشف عن أسرارها، ولديّ إحساس كبير أنّها تحمل بداخلها العديد من المفاجآت سواء السارة وغير السارة، هذه الغرف كأنّها يفوح منها عطرٌ قويٌّ يتحكّم بك ويطلب منك الدخول بها كأنّه شيء يجذبك ناحيتها بكلّ قوة.

وتعلم جيّدًا أنّ القدر دائما ما يعطيك الفرصة المناسبة لكي تقتحم هذه الغرف المغلقة، وبالتحديد، عندما قرّرت بيع المنزل بعد وفاة والدي، فما كان منّي إلا تفريغ البيت من حاجياته، وهو الأمر الذي جعلني أقتحم هذه الغرفة التي كنت ممنوعًا من دخولها في الوقت السابق كاسرًا كلّ الأوامر التي فرضها عليّ والدي، وبعدها احترمت وصية والدي ولم أقترب منها، لكن الآن الوضع بات مختلفًا، فخشيت أن يكون بالغرفة بعض الأسرار التي من الممكن لو اطّلع عليها أحد غيري لأدخلنا في حسابات معقّدة وغير واضحة، ففضّلت اقتحام غرفة الأسرار، والكشف عن خفاياها قبل تفريغها من محتوياتها، وهذا ما حصل بالفعل معي.

كنتُ أعلم جيّدًا بمكان مفتاح الغرفة، وما هي إلا دقائق حتّى وجدت نفسي بوسطها، نعم كما توقّعت غرفة عتيقة مملوءة بالدواليب العتيقة، وهناك طاولة متوسّطة الحجم عليها بعض الحاجيات، كالعلب الحديدية وبعض الأوراق والصناديق الصغيرة والتحف القديمة، أشياء لم تثير اهتمامي، وخلف هذه الطاولة كان هناك كرسي خشبي من الطراز القديم، وعلى جانبيه أدراج صغيرة تغطيها الأتربة، وكما هي العادة لا بدّ من فتحها حتّى ترضي ذلك الفضول، وعندما فتحتها لم أجد سوى الغبار الذي راح ينتفض من داخلها وأشياء لا أعرف كيف أصفها، وكان هناك عدد من الأوراق التي على ما تبدو أنها من النوع القديم، كأنّها عدد من الرسائل القديمة، وما إن أخرجتها وجدت أن عددها كثير، وضعتها على الطاولة ثم نفّضت ما عليها، حتى قرأت ما عليها، وكان مكتوبًا بخطٍّ جميل وواضح

(جابر شقيق سعاد المجنونة، هل ما قصه لنا حقيقي، أو إن ما حدث من وحي الخيال يريد إخفاء حقائق أخرى)

اقرأ جيّدا هذه القصّة يا منصور (منصور هو والدي) فالقصة مليئة بالأمور الغريبة

طبعًا أيّها الصديق العزيز لا أريد الإطالة وإليك ما قرأت في الأوراق البالية التي تكاد تتكسر بيدي

يجلس في حوش البيت الواسع على دكّة طينية صلبة، ينظر للأرض بتركيز عالٍ محرّكًا جسده ذهابًا وإيابًا، تنتابه حالة من الترقّب والقلق، يحدث نفسه قائلًا:

- هل سينجح الشيخ هذه المرة؟ هل ستعود سعاد كما كانت؟

بينما والدته تضع يدها على ذقنها وهي متّشحة بالسواد وعيناها تحجّرت من الحزن، حائرة خائفة هي الأخرى، وكلاهما يريد، أن تعود سعاد بنتهم التي لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها إلى سابق عهدها

جابر روحه تبكي من الداخل، جابر ذلك الشابّ صاحب الثلاثين عامًا، لم يتصوّر أن شقيقته ستتحوّل إلى شخص مختلف، تلك الفتاة الرقيقة والهادئة، أصبحت بحالة غريبة، تارة تراها طبيعية هادئة خائفة، وتارة أخرى تراها تتحوّل إلى وحش يصرخ ويضرب ويبكى ويتحدّث بأشياء غير مفهومة، كأنها شخص آخر، لا يعرفه جابر ولا والدته

رغم حالتهم المادية الصعبة، كون جابر يعمل لدى بعض التجار في الكويت بتلك الفترة (الخمسينيات) وكانت جلّ مشاكلهم تتمحور على بعض النواقص التي تحدث في حاجيات البيت، إلا أنّهم يتعدّون تلك الصعاب بهدوء وابتسامة، والدته هي الأخرى تساعده في الخياطة، لكن الغيمة السوداء التي غطّت بيتهم بسبب حالة سعاد، لم يستطع الاثنان تجاوزها

لم يترك جابر وأمّه أيّ شيخ دين أو شخص متخصّص بمثل هذه الأمور إلا استدعياه من أجل إنقاذ حالة بنتهم غير المعروفة، بكاء صراخ حزن، حديث غير مفهوم، نبرة صوت متغيّرة كلّها أشياء كانت تقوم بها سعاد، التي تحوّلت من فتاة رقيقة جميلة وممتلئة الخدّين، إلى مسخ غريب الأطوار، إلى جلد على عظم، أصبحت حبيسة الغرفة لا تخرج منها.

جميع جيران بيت جابر أصبحوا يخافونهم بسبب ما حدث لتلك الفتاة البائسة، وكل المحاولات التي يكررانها جابر ووالدته لم تَفِ بالغرض بل الأمر يزداد سوءًا، الأمر الذي توصلوا له أنّ ابنتهم ممسوسة، تلبسها أحد المخلوقات غير المرئية، وهي الآن بعداد المجانين في نظر الناس في تلك الحقبة.

نعود للمشهد مجدّدًا جابر ينظر للأرض بحزن وخوف هو و والدته، وأحد المشايخ يجلس في الغرفة مع سعاد يرتّل عليها بعض الآيات القرآنية، يريد إخراج ذلك الشيء من داخلها

صرخات سعاد كانت تقطع نياط قلب والدته، جابر لا يجد أيّ حيلة وليس أمامه سوى الانتظار، هنا يشتدّ الصراخ تختلط الأصوات داخل الغرفة، دربكة غير معتادة تكسر بعض الحاجيات، يخرج الشيخ جاحظ العينين من الغرفة، الخوف يتملّكه من كلّ جانب قائلًا:

- الشيء الذي في جسد ابنتكم غير عادي، مخلوق متوحّش كاد أن يقتلني

ثم ينطلق راكضًا نحو الباب، وسط ذهول جابر ووالدته، اللذين دخلا مسرعَين إلى الحجرة، ينظران إلي سعاد، التي كانت هي الأخرى تنظر لهم بعينين يملؤهم الغضب، وتقول بلهجة غير متوقّعة وصوت خَشِن

- إن عاد ذلك الأحمق مرة أخرى فسيكون في عداد الأموات

لتعمّ موجة قوية من الهواء داخل الغرفة، يتراجع جابر ووالدته، كأنّه الغرفة تلفظهم تفتح الأبواب والشباب وتتلاطم بقوة، يخرج الاثنان من الغرفة وهما يحملان خيبة جديدة في محاولة إنقاذ سعاد التي أصبحت بحالة لا تطاق، وهم يتحاشون تلك الزوبعة التي ملأت المكان والأشياء التي تتطاير بفعل حركة الرياح السريعة.

يعود الاثنان للغرفة مجدّدًا بخطوات تملؤها الترقّب والخوف، ينظران لسعاد التي وقفت بجانب أحد الحيطان الطينية، شعرها غير مرتّب يتطاير كأنّه ثعابين نبتت علي رأسها، بجسمها الهزيل وعينيها الذابلتين، تكتب على الحائط تلك الجملة بخطٍّ متعرّج غير مفهوم بالكاد يميزانه "البومة"

انقطع جيران جابر عن زيارتهم، بالكاد يرون أحدا يطرق بابهم، أو حتّى يمرّ من أمام دارهم، حتّى الحالة المادية لبيتهم أصبحت متدهورة بسبب قلّة ذهاب جابر و والدته للعمل، إذ إنهما مشغولان بحالة سعاد، التي تحتاج لتركيز

كان جابر يظنّ أنّ إقفال الغرفة ليس هو الشيء الوحيد الذي يحدّ من خطورة تلك الفتاة بالبداية، ففي أحد الأيام تفاجأ أحد جيرانهم بوجود سعاد تجلس في قنّ دجاج بيته وهي تحاول التهام ديكه الذي لم يتبقَّ منه سوى نصف جسده، فما كان من جارتهم إلا أن صرخت بأعلى صوتها حتّى تجمّع عليها الجيران الآخرون، ينظرون باشمئزاز وخوف لما تفعله سعاد، التي تلطّخ جسدها من فمها ويديها بالدماء، من يومها قام جابر بتقييد شقيقته بالحبال وحبسها بتلك الغرفة، بينما خاف الجيران من تكرار تلك الحادثة، أو إصابة أحد أبنائهم بأذى، وبدأت الأقاويل تنتشر وسط تلك القرية الصغيرة عن حالة الجنون التي

وصفها البعض أنها ليس لها مثيل، غير تلك الشائعات التي تكبر وتصغر ما بين الحين والآخر على ألسن الناس في زقاق تلك القرية الصغيرة

والدتها قامت بمهمّة تغذيتها، تنتظر موعد عودتها لرشدها، خاصّة عندما تستيقظ، يكتشف الجميع أنّ سعاد غير مدركة لما تفعل، وتسأل ذلك السؤال

- ما الذي فعلته يا أمّي؟

أو إنها تقول:

- إنه يهمس بأذني يا أمّي يقول:

- أنت عشيقتي الأبدية، لن أتركك، لن يفلح ما يقومون به، أنت التي استدليت عليّ

وهذا ما يؤكّد أنّ الفتاة قد سيطرت على روحها نفسٌ شيطانية متوحّشة.

تبكي سعاد بشدّة، الخوف يحاصرها من كلّ اتجاه، والدتها بهذا الوقت تستغلّ حالتها الطبيعية، وتقوم بإطعامها حتّى لا تموت من الجوع، لكنّ الفتاة تكون بحالة نفسية سيّئة، لا تستمرّ سعاد بوضعها الطبيعي كثيرا، فهي تعود مجددا لما كانت عليه، تعود وحشا كاسرا، لا يقبل التفاهم أو الهدوء

لم تكن ليالي جابر الماضية سعيدة، ولم تكن هناك حلول لم يقم بها، أشار عليه البعض انتظر موتها ولا تقم بإطعامها؛ لأنها أصبحت غير آدمية، المشايخ والمطاوعة كانوا يتردّدون على جابر يحاولون إيجاد مخرج لكن لا حيلة ولا حلّ، كل الطرق مسدودة، فهم للمرة الأولى يتعاملون مع حالة مثل حالة سعاد

اتخذ جابر القرار وطلب من والدته تخفيف وجباتها، كذب جابر عندما قال لأمّه إن الطعام يزيد من قوة ذلك الشيء الذي يعيش بها، لكن جابر يريد تنفيذ تلك الخطة التي وضعها البعض في رأسه، إماتتها جوعًا، والخلاص من تلك المصيبة التي حلّت عليها، وشوّهت سمعة بيتهم في المنطقة.

تناقضات عديدة تتصارع داخل عقل جابر، أخته يحبّها وليس له غيرها كيف يتخلّى عنها بهذه الطريقة، وعندما يتذكّر ما تقوم به، والسوء الذي حلّ بعائلته، يصرّ على إتمام الخطّة التي وضعها من أجل التخلّص منها، ويكون كلّ شيء طبيعيًا، كان في هذه الأثناء يجلس أمام منزله حائرًا كعادته، كانت الشمس تميل ناحية الغروب، وكلّ شيء يتحضّر لغطاء السماء الأسود

هنا مرّ رجل توقّف عند بيت جابر، يسأله عن بيت أحد التجار، فهو كما قال لجابر غريب، ويقصد هذا التاجر من أجل إتمام بعض الأمور، دلّه جابر على منزل ذلك التاجر، وبينما كان يقوم بوصف طريق منزله تنهّد بعمق، هنا انتبه

ذلك الرجل الغريب ذو القامة الطويلة والعينين الواسعتين والوجه الغابر لوضع جابر وقال له:

- يبدو أنك تمرّ بحالة نفسية سيّئة.

هزّ جابر رأسه وابتسم ببؤس شديد وقال:

- لو كنت تعلم عن قصّتي وحالة بيتي لما تجرّأت ومررت من هذا المكان، أغلب سكّان هذا "الفريج" يتحاشون المرور من أمام بيتنا، حتّى لو كان الطريق مختصرًا فهم يفضّلون الطرق الطويلة ولا المرور من هنا، القصّة طويلة يا أخي

نظر الغريب لعيني جابر اللتين ملؤهما الحزن وقال:

- قل لي يا أخي حكايتك لربّما بعثني الله لك من أجل إنقاذك، لا تدري، ودائما بداخل المصادفات نجد الحلول

فكّر جابر قليلا ثم قال لنفسه، ما المشكلة لو حكيت له، فالجميع يعلم بحالتنا البائسة، الأمر لا يحتاج منّي كلّ هذه السرّية

جلس الاثنان على حافّة الدكة الطينية، ثم بدأ جابر بقصّ حكاية شقيقته من البداية قائلًا:

- القصّة يا أخي بدأت منذ شهر ونصف الشهر تقريبا، عندما عادت أختي من منزل أحد أقاربنا الذين يسكنون في منطقة "المرقاب"، ومنذ تلك الليلة تغيّرت حالة شقيقتي، في تلك الليلة كانت تستيقظ بفزع وتصرخ وتقول:

- هناك شيء غريب يهمس بأذني

أو أنها تحلم بأحلام كابوسية تجعلها تصرخ فزعة، وكان الحلم الذي يتردّد عليها، عبارة عن بومة عوراء كما كنت تقول تقف في نافذة غرفتها، وتنظر لها بتركيز عالٍ ثم تنقضّ هذه البومة عليها بكلّ قوة تحاول إيذاءها، وتقول -أيضًا- إنها تشعر بثقل كبير أثناء ذلك الحُلم، وأن هناك شيئا غريبا يجثم على صدرها، وعندما تصحو تجد نفسها صارخة باكية خائفة، تشعر أنّ البومة التي تتحدّث عنها تعيش معها في الغرفة، علما أنّ البومة ليس لها أثرٌ بالغرفة أو بالبيت.

أكمل جابر حديثه قائلًا بعد أن استمرَّ بتنهيداته العميقة:

- تطور أمر شقيقتي لما هو أسوأ خاصّة بعد أسبوع من وضعها السيّئ عندما سمعت صراخ والدتي في ذلك الصباح، كانت وقتها تريد إيقاظ أختي لتناول

وجبة الإفطار، لكنها تفاجأت بصوت سعاد الذي تغيّر فجأة أصبح خشنًا، وعيناها التي ملئت بالغضب وصبغت بالبياض الشديد وهي تردّد تلك الجملة

- سعاد ملكي الآن إياكم والاقتراب منها

من هنا بدأت معاناتنا ورحت أبحث عن حلّ لمشكلتها من خلال المشايخ، الذين هم الآخرون احتاروا في أمرها ولم يجدوا سبيلًا واحدًا لخلاصها، المصيبة يا أخي بالناس الذين حولنا، لن يقدروا أوضاعنا بل بكلّ تأكيد سيخترعون الشائعات والقصص، عليها، بل إنّ الأمر تطوّر باتهامنا بمزاولة السحر، وأن أفعالنا انقلبت علينا، وإصابة سعاد.

كنت حريصًا كلَّ الحرص على أنّ مرض أختي يكون سرّيًّا، لكنّ الأمر خرج عن السيطرة، عندما بدأت سعاد تخرج بتلك الحالة وبذلك الصوت والوجه، بل إنها لم تتوقّف عن هذا الحدّ بل راحت تنام في الخرابات والأزبال، وتأكل الجيف، وتعتدي على الحيوانات والناس، وهو ما استدعاني إلى تقييدها وحبسها بتلك الغرفة، حتى راح ذلك الشيء الذي داخلها يتحدّث معنا ويهدّدنا وأصبحت جملته التي تكرّر على مسامعنا يقول..

- أيام وينتهي كل شيء، أيام وسأرحل أنا وسعاد بعيدا عنكم

كنت أنقل الأحداث إلى المشايخ، لكن أيًّا منهم لم يعطني جوابًا صريحًا واحدًا، أو حلًّا مقنعًا لما يدور في جسد أختي، كانوا فقط يطلبون مني الدعاء، حتى إنّ أحدهم بكلّ وقاحة طلب منها قتلها والتخلّص منها خوفًا إذ إن هذا الشيء قد ينتقل لباقي الناس

وها أنا الآن أمامك حائرٌ خائفٌ، لا أدري ماذا أفعل، تدهور كلّ أحوالنا، وأصبحنا أنا و والدتي لا نعرف أين نجد علاجًا يعيد سعاد كما كنت، الحياة بلا أمل كبيتٍ فارغ لا تسمع إلا صوت شبابيكه تتحرّك بفعل الرياح

وضع ذلك الرجل طويل القامة يده على يد جابر، فشعر جابر ببرودة يده، وقال له

- شفاء شقيقتك على يد المبروك الشيخ شامخ

نظر جابر للرجل وقال مَنِ الشيخ شامخ هذا الذي تتحدّث عنه

قال الرجل:

- إنه يسكن ليس ببعيد عنكم، على بُعد ساعتين من مكانك، رجل يعرف كيف يتعامل مع مثل حالات أختك، لكنّ لديه بعض الطقوس الغريبة التي ستعرفها غدًا

قال جابر له بلهفة:

- هل لك أن تدلّني عن مكانه، سأكون لك شاكر مدى الحياة.

هزّ الرجل الطويل رأسه وقال:

- سأكون بهذا المكان غدًا بهذا الوقت نفسه، فهو لا يستقبل أحدًا إلا إذا غابت الشمس

استغرب جابر قليلًا لكنّه لم يكترث، كلّ ما يفكّر به حاليا إنقاذ حياة سعاد.

نهض الرجل الغريب من مكانه، وابتسم بوجه جابر وقال بهدوء:

- جهز شقيقتك جيّدًا، ولا داعي لتنظيفها أو ترتيبها دعها كما هي عليه، فقط ألبسها عباءتها وغطّ وجهها، ودعنا نسير بغطاء الليل حتّى لا يرانا أحد

ثم بعدها سار الرجل الغريب ليذوبَ في الظلام الذي بدأ يخيّم على المكان، وسط استغراب جابر وذهوله

حكي جابر القصّة كاملة لوالدته، عن ذلك الغريب الذي جاء له، وإعطاء بارقة أمل لعلاج أخته التي تقبع بتلك الحجرة، وصراخها الذي يتفجّر كلّ ليلة

لم تكن ليلة جابر كما باق الليالي، ظلّ طوال الوقت يفكّر هل بالفعل هذا الرجل جاء لينقذه من تلك المصيبة التي حلّت بهم، هل المصادفات هي من تلعب دورًا كبيرًا بهذا الحياة وتديرها؟ من الرجل وكيف لي أن أصدّقَه؟ من ليس له تدبير يتمسك بأيّ حلّ حتّى لو كان من الخيال.

كلّها أسئلة لم يجد لها أيّ إجابة، كان ينتظر بكلّ لهفة الساعةِ التي سينطلقُ بها مع الرجل لبيت الشيخ شامخ كما ذكر له

جاء اليوم التالي وتفكير وهواجس جابر لم تهدأ، طلب من أمّه تجهيز أخته على حسب ما طلب الغريب، راح ينتظر في المكان على الدكّة الطينية أمام بيته، يترقّب وصول الرجل بكلّ لهفة، وبالفعل جاء الرجل كما وعد، عنده وصوله قال كلمته:

- دعنا نسير لبيت الشيخ شامخ فالجميع جاهز، هل جهزت سعاد؟

ابتسم جابر ثم قال:

- كل شيء جاهز، أمهلني ثواني حتّى آت بأختي وننطلق

سار الاثنان يلفّهما سواد الليل نحو المنطقة الصحراوية القريبة من حدود أسوار المدنية،، إلى بيت الشيخ شامخ، وأثناء الطريق كان الرجل الغريب يقول لجابر

- بيت الشيخ شامخ يشبه القصور القديمة، لديه العديد من الأعوان، إياك بالسلام عليهم، أو الالتفات لهم، إذا سألوك جاوب فقط، وإذا أمروك نفذ، لا تجادل لأن كل ما يفعلوه من صالح شقيقتك، إذا نفذت ما أقول فستسير كل الأمور على ما يرام

كان كلام الغريب يثير الشكّ والريبة، إلا أنّ جابر كان يطرد كلّ هذا الأمور، لأنه يريد أن ينهي كلّ هذا الجنون، ويريح قلبه ويعيد كلّ شيء كما كان، فنظرة الناس لبيتهم أصبحت حملا ثقيلا عليه لا يدري كيف يغيرها.

لم يكن جابر يركز على سيره وكل ما رآه، رجل بدوي يجلس بخيمته، صادفوه وهم في منتصف طريقهم، قام لهم مُرحّبا، وضيّفهم بقهوته المُرة، كان البدوي رجلًا طيبًا تلوح من عينيه ملامح العفوية، لكنّه ثرثار كبير، كان جابر يبتسم في وجهه كثيرًا، بينما الغريب كان جامد الملامح، حتّى إنه عجلهم حتى ينهضون لمواصلة سيرهم نحو بيت الشيخ شامخ، وراح ذلك البدوي يمطرهم بالأسئلة عن أسمائهم، وإلى أين هم ذاهبون، إلا أن الرجل الغريب همس بأذن جابر وطلب منه عدم الإجابة عن أسئلته، وهذا الأمر أثار حفيظة البدوي الذي لم يرتح كثيرًا لوضع الغريب وقال لجابر بهدوء:

- مال هذا الرجل غريب الأطوار قليل الكلام، إنه عكسك بتاتا

شكر جابر البدوي على حسن ضيافته، واعتذر منه على عجلة أمرهم لأنهم في مهمّة لا تقبل التأخير تفهّم البدوي، وطلب منّي معاودة زيارته

حلّ القمر بكامل استدارته في منتصف السماء، لا يسمع جابر ومن معه سوى نباح الكلاب البعيد، وأصوات الحشرات سواء الطائرة منها أو التي تدبّ على الأرض، أو احتكاك صوت أحذيتهم مع تراب الصحراء، كانت المنطقة التي يسيرون بها شبه صحراوية، لم تكن هناك بيوت أو أيّ شيء من هذا القبيل، المشهد الذي رآه جابر غير ذلك الذي تخيّله، وبات في حَيرة من أمره لأنه لأول مرة يرى هذه الأماكن، والطريق أصبح طويلًا، وهذا ما أثار شكوكه لكنّه كان مغلوبًا على أمره ولم يتجرّأ على السؤال واستمرّ بالمشي

الغريب أثناء سيرهم أنّ سعاد تضاربت مشاعرها في أول الطريق كانت خائفة مذعورة تتلفّت يمينا وشمالًا تسير بصعوبة كأنّها تجر جرًّا نحو حتفها، وعند منتصف الطريق تغيّر حال سعاد مرة أخرى أصبحت مطمئنة هادئة، ذهب الخوف الذي كان يلوح في عينيها، وتبتسم من حين إلى آخر

قطع الرجل الغريب لحظة الشرود التي طغت على جابر عندما طلب منه التوقّف، وقال له:

- بعد دقائق سنصل عند بيت الشيخ شامخ كلّ ما عليك تنفيذ الأوامر التي يطلبونها منك ربما لن تجدني معك، فبمجرّد وصولنا للمكان مهمّتي تنتهي

لم يفهم جابر، وثارت داخله العديد من المخاوف والشكوك، وحاول معرفة سبب انتهاء مهمته، لكن الغريب لم يرد على أيّ سؤال أو استفسار، بينما هم كذلك حتّى تفاجأ جابر أنه يقف أمام بيت كبير مبنيّ من الطين، يلفّ ذلك القصر سور عملاق عال، وبوسطها بوّابة خشبية قديمة كثيرًا، يقف أمامها رجل طويل القامة يلبس ملابس رجل عربيّ قديم وفوق رأسه عمامة ضخمة، قطع لحظة انبهار جابر وشقيقته بالمكان صوت ذلك الرجل العملاق الذي يقف عندما البوّابة عندما قال:

- جابر وسعاد فقط من يدخلان، أنت ترحل، ويقصد هنا بالرجل الغريب

تقدّم جابر بحذر خوف نحو البوّابة العملاقة متردّدا بالدخول، وقام بالنظر لعيني الرجل الغريب لكنّه تذكّر أنّ أيّ استفسار أو اعتراض على أوامر من في المكان سينهي هذه المهمّة من بدايتها، تسلّح ببعض من الشجاعة وأمسك يد أخته ثم تقدّم متعدّيا تلك البوابة العملاقة، اللافت في الأمر عند دخولهم كانت هناك بومة ضخمة عوراء تقف على طرف الباب الكبير تنظر لهم وهي تحرّك رأسها بشكل دائري، ما هي إلا ثوان حتّى وجد نفسه في حوش كبير، هناك العديد من الغرف التي ملأت المكان، وخيل لجابر لوهلة أنّ هذا القصر الكبير مهجور ولا يسكنه أحد بسبب قِدم المكان وعدم تنظيمه

تفاجأ جابر بذلك الرجل العملاق الذي استقبلهم عند الباب يطلب منه التقدّم نحو إحدى الغرف، وكان باب الغرفة أسود ذا حوافّ حمراء، وقال لهم:

- ادخلوا ولا تتحدّثوا لأيّ أحد حتّى يطلب منكم ذلك

لم يكن بيد جابر أيّ حيلة الآن سوى التقدّم وفتح الباب ودخوله هو شقيقته للمكان والتي كانت هادئة جدا، وعند دخوله تفاجأ بشكل كبير عندما وجد العديد من النساء يرتدين ملابس سوداء، طويلات القامة وعيونهم كبيرة ومتشابها لا يكاد يفرق بينهم، مسرحين الرؤوس، وينظرون لهما بنظرات حادّة، بدأ الاثنان يتقدّمان بتلك الغرفة الكبيرة شاقّين صفوف تلك النساء بحذر شديد وخطوات بطيئة يعتريهما الخوف والقلق ينظران يمينا وشمالا لتلك النساء غريبات الأطوار.

حار جابر كثيرًا وقال في نفسه هل أسأل أحدًا عن مكان الشيخ شامخ، ولا يدري لأي مكان يذهب فالقصر لا يوحي بوجود أي رجل بسبب كثرة النساء الذين كانوا ينظرون له بكلّ حدة، وعند تعديه جموع النساء وصل لمكان أشبه بالجلسة العربية القديمة لكنّها خاوية بتاتا، وقف ينظر لأخته من دون أن

يتحدث، ومع لحظة الصمت تفاجأ الاثنان بأصوات الدفوف خلفهم وهي تضرب بكل قوة، التفتا ناحية النساء فوجدهم يضربون الدفوف بكلّ قوة، ويحركون رؤوسهم يمينا وشمالا، كأنه يقيمون حفلة زار

ابتلع الشابّ ريقه لا يعرف ماذا يفعل، خاصة إن المكان أصبح يثير الرعب والغرابة، هنا سمع صوت لا يعرف من أيّ مكان أتي:

- اتركها وارحل لا مكان لك بيننا

انتفض جابر هنا، راح يتلفت بكلّ قوته يريد معرفة من أيّ مكان يأتي الصوت، و اكتشف وجود تلك البومة العوراء التي كانت عند البوابة الكبيرة تقف أعلى الغرفة تنظر لهم بتلك النظرات الحادة والتي تكاد تنطق، ثم تذكر تلك الجملة وقال:

- ماذا تقصد تريدين أن أترك أختي هنا مستحيل

ثم استدرك كلامه وقال:

- من أنت ومن أين تتحدّث؟ هل أنت الشيخ شامخ؟

كان صوته مرتبكا جدّا، والذعر يتطاير من عينيه، بالوقت نفسه جلست أخته هادئة مبتسمة على أحد المقاعد القريبة منها من دون أن تتحدث بأي كلمة، دقائق حتى اكتشف جابر أن رجلين تقدّم نحوه، ولا يدري من أيّ ظهروا، ثم عاد الصوت مجددا

- اتركها وارحل لا نريد أن نؤذيك، وإذا لم ترحل سنفعل شيئًا لن يرضيك.

بقى جابر صامتا تائهًا لا يدري ماذا يفعل، اقترب الرجلان منه كثيرًا، ثم تحدّث أحدهم بصوت مبحوح أجش وقال:

- لن نمهلك كثيرًا هي دقائق وبعدها سنؤذيك

نظر الفتى بخوف للاثنين، وقال بيأس شديد وخوف

- لن أرحل إلا وأختي معي.

لم يتحدّث الرجلان قطّ، بل راحا ينظران له بحدّة وغضب، وشعر جابر أن أنفاسهم تكاد تحرق جسده، دقيقة حتى تقدّما الاثنان ناحيته، وبدؤوا بجرّه بكلّ قوة، وهما يقولان

- انتهى دورك، أوصلت العروس.

كان جابر أثناء جرّه يحاول المقاومة لكنّ قوة الرجلين كانت أكبر منه بكثير، ثم راح يصرخ بكلّ قوّته

- أريد أختي سعاد، لن أرحل دونها اتركوني، أريد مقابلة الشيخ شامخ

توقّف الاثنان ثم نظر له وقال أحدهم:

- الشيخ شامخ الآن يحتفل بعروسته لم تر تلك النساء وقت دخولك وهنّ يحملن الدفوف ويرقصن من الفرح، إنّها ليلة الشيخ شامخ ليلته الكبيرة،

ثم مدّ إصبعه ناحية المكان الذي ترك به شقيقته

نظر الفتى وتفاجأ إنّ شقيقته تنظر للبومة التي هبطت من أعلي السقف، ووقفت بجانب سعاد، وما هي إلا ثوانٍ حتّى خرج من الدخان من جسد البومة العوراء الذي انتشر بشكل طول متمدد، ليخرج من بين الدخان رجل طويل هو الآخر يرتدي رداء أسود ذات حوافّ حمراء، ووجه مليء بالشعر وعيناه شديدتا البياض، ذو نظرة حادّة، مدّ يده ناحية يد سعاد وأمسكها ثم أخذها وراح يسيران بهدوء ناحية باب آخر ثم غابا عن بصره

بدأ جابر بالصراخ بصوت عالٍ

- سعاد إلى أين تذهبين معه، عودي عودي

في هذه الأثناء أمسك الرجلان يد جابر الذي قاوم بكلّ شدّة، لكن دون فائدة، القوة مرات تغلب إحساس النخوة، الذي أعطى الفتى ردة فعل لم تسعفه، بينما راحت تلك النساء تضرب الدفوف مرة أخرى، فيما كان بعضهن تقف مكانها تهزّ رأسها يمينا وشمالا، وأخريات يرقصن بشكل غريب، ذهل جابر من هذه الأشياء التي رآها أمام عينه، لم يجد نفسه إلا يبكي بصوت عالٍ، دقائق حتّى وصل للبوّابة الكبيرة، ثم قذف الرجلان جسمه النحيل كلّه عند ذلك الرجل الطويل الذي استقبله عند الباب أول ما وصل مع شقيقته ورحلا

نظر الرجل الطويل لجابر وقال:

- انتهى عذابك اليوم، اعتبر نفسك قد ولدت من جديد، لا تعود مرة أخرى، سعاد رحلت لمكان بعيد، لن تستطيع لا أنت ولا غيرك الوصول لها، وإياك بمناقشة الأمر، اهرب بكلّ قوتك عن هذا المكان، العودة يعني الانتحار

لم يستطع جابر الردّ على كلام الرجل الطويل شعر أن لسانه قد رُبط، شعر بخوف وحزن شديدين على ما حصل له ولأخته، ولم يلبث حتّى وجد نفسه وسط تلك الصحراء التي كان يسير بها قبل ساعة وحيدًا، لا يسمع سوى صوت الرياح الخفيفة ويغلفه الظلام من كلّ ناحية، لا يدري ماذا يفعل، لكنّه فطن بالوقت نفسه لنفسه، ثم وقف وراح يبحث عن البيت الكبير ذي الأسوار العالية، أين اختفي، هام بالصحراء وحده يبحث عن المكان، ينادي بصوت عال

لكن لا أحد يجيب أعياه التعب والظمأ، لا يدري كيف اختفى ذلك المكان الكبير فجأة رغم وجوده قبل دقائق

مرّت الساعات ثقيلة على جابر لا يعرف ماذا يفعل، وأين اختفت شقيقته وذلك القصر العالي، وما لبث حتى وجد نار موقدة من بعيد، شعر بارتياح ثمّ تقدّم نحوها وهو يتخبّط بمشيته بسبب التعب الذي شعر به

وعند وصوله اكتشف أنّها خيمة الرجل البدوي الذي قابلهم في أول الرحلة، وعلم هنا أنه لا يتوهّم، تقدّم ناحية الخيمة وصرخ بقوة ينادي الرجل

دقائق حتّى تقدّم البدوي والذي كان نائمًا ناحيته، استغرب وجوده، وقال:

- أنت الرجل الذي قابلته قبل ساعات، أعتقد اسمك.. جابر

هزّ الفتى رأسه بثقل شديد، وعينين ذابلتين، لم يجد نفسه إلا وقع على الأرض متعبًا خائر القوى

وعندما نهض وجد نفسه نائما وسط خيمة بجانبه ذلك البدوي الطيب، الذي نهض وهنأه بسلامته

حكى جابر القصة كاملة للبدوي، والذي بدوره احتار كثيرًا واستغرب من حيثيات القصّة، وكيف حدث كلّ هذا وقال له:

- لا يوجد أيّ بيت قريب من ناحيتنا، أنا أعرف هذه المنطقة جيّدا، إذ إني أعيش منذ أكثر من خمسة أعوام

تمسّك جابر بقصّته وقال له:

- سآخذك بعد قليل للمكان، رغم أنني لا أعرف الطريق إليه بشكل جيد، لكنّ كانت هناك ثلاث أشجار عملاقة بجانب ذلك البيت لعلها تكون النيشان على وجود القصر

وافق الرجل البدوي، خاصة أن جابر لا يزال يتمسك بأمل إيجاد شقيقته التي بقيت بذلك القصر الكبير، سار الاثنان مع بزوغ ساعات النهار الأولى، ولكن جابر كان غير دقيق في وصفه للمكان، وهذا الأمر أخذ منهما وقتا طويلا، إلا أنهما وصلا أخيرًا بعدما وجدا الثلاث شجرات واقفات بكلّ شموخ بالمكان وأغلبهم من السدر العملاق، قال جابر:

- أمر غريب أنا متأكّد أن البيت الضخم الذي دخلنا به ليلة البارحة كان موجود بهذا المكان، أتذكّر هذه الشجرات الثلاث فالرجل الضخم خرج لنا فجأة من وراء إحداها

بدأ جابر بالتحرّك يمينا وشمالا يبحث عن أيّ دليل آخر، إلا أنّ المكان كان خاويًا بتاتا إلا من بعض الصخور الشبه صغيرة والبارزة

ربّت الرجل البدوي على كتف جابر، وظنّ في البداية أن جابر يتوهّم، لكن في الوقت نفسه كان يعلم جيّدا أن جابر كان بصحبة شقيقته ليلة البارحة، واليوم عادٍ من دونها، وفي الوقت نفسه يعرف جيدا هذا المكان، ثم تحدّث للفتى قائلًا:

- أيّها الرجل الطيب هذا المكان الذي تتحدّث ما هو إلا مقبرة قديمة جداً، تعود لأكثر من مئة عام، لم يقترب منها الناس كثيرًا بسبب خوفهم من ظهور الجنّ، فالمكان شهير جدا بوجود تلك المخلوقات التي كانت تظهر للناس ما بين الحين والآخر، خاصة للمسافرين والتائهين

ذهل جابر من كلام البدوي، كيف يكون المكان مقبرة، وهو ليلة البارحة كان يراه بيتًا ضخما أو ربّما قصرًا، دخل بداخله ورأى العديد من البشر، وحصل له ما حصل من أحداث غريبة

طلب البدوي من الفتى العودة مجدّدا لخيمته، فلا فائدة من وجودهم هنا، لأنّ المكان صحراء كبيرة، في الوقت نفسه كان يفكّر بقصّته التي رواها له، رغم أنه أحسّ بشكل كبير من جدّيته ودقته في ذكر الأحداث، وتذكّر أن هناك رجلًا واحدًا في المكان الذي من الممكن أن يحلّ تلك الأحجية الكبيرة

عاد الاثنان وطلب البدوي من جابر أن يرافقه، إلى رجل صالح يعيش في مقربة من مكان، هذا الرجل كان ساحرا كبيرا في الماضي إلا أنّه تاب، ويعرف جيدا كيف يتعامل مع مثل هذه الأمور، يدعى أبو فريال، الناس في المنطقة دائما ما يقصدونه لمثل هذه الأمور، كونه صار يستعمل خبرته في المجال لمساعدة الآخرين وحلّ مشاكلهم وبالتحديد في أمور السحر والجنّ

لم يجد جابر في هذه الأثناء سوى الرضوخ لكلام البدوي، ومرافقته لبيت ذلك الرجل الذي يدعى أبو فريال، لم تكن ليلة الفتى كمثلها من الليالي السابقة التي عاشها، وتمنّى أنّ كلّ ما حدث مجرّد حلم يريد النهوض منه، يفكّر ما الذي حدث لأخته سعاد وأين اختفت، ومن هؤلاء الذين استقبلوه في ذلك البيت الكبير

جاء صباح اليوم التالي، وجد الرجل البدوي الفتى ينتظره بكل لهفة ويطلب منه سرعة مغادرة المكان من أجل الذهاب لبيت ذلك الرجل حتى يصلا في وقت مبكر ويعودا، لم يجد البدوي سوى الإذعان له مقدرا حالته النفسية، وعند وصولهم استقبلهم أبو فريال، ذلك الرجل ذو اللحية البيضاء، نحيل الجسم طويل القامة حاد النظرة هادئ جدا

قصّ جابر كل الحكاية للشيخ أبو فريال، الذي جاوبه قائلًا:

- يا لحظ شقيقتك السيّئ، كيف وصل لها ذلك المارد الذي يدعى شامخ "البومة"

ذهل جابر من كلام أبو فريال، وأراد توضيحًا كبيرًا لهذا الأمر

أكمل أبو فريال حديثه قائلًا:

"البومة" أو أبو شامخ، كلّها أسماء أطلقت على هذا المارد فهو من الجنّ، الذي سكنوا المكان الذي ذهبت له مع أختك، والعديد من المرّات يزور القرى القريبة، قاصدًا إيذاء الناس، ودائمًا ما يسكن الخرائب، يتشكّل على طائر البومة، يراقب الناس من بعيد، وعلى ما يبدو أن شقيقة عبثت معه بشيء ما، والغريب في الأمر أنها المرة الأولى التي يظهر للناس على هيئته الحقيقية، كل ما أريده الآن هي أن تعطيني بعض الوقت حتّى أعرف من أعواني كيف استطاع "البومة" خطف شقيقتك ولماذا؟

نظر جابر للرجل البدوي وقال:

- هل ستعود سعاد مرة أخرى؟

لم يرد أبو فريال على سؤال جابر وفضل السكوت، بعدها قام مبتعدا عن المكان

لم يعرف الاثنان هل يعودان من حيث أتوا، أو إنهم ينتظران، لكن جابر قال للبدوي

- لن أتحرّك من هنا حتّى أعرف لأيّ مكان تم اختطاف أختي

مرت أكثر من عشر ساعات والاثنان ينتظران جوابًا شافيًا من أبو فريال، حتى حلّ الليل، كان الرجل البدوي وجابر يجلسان أمام بيت أبو فريال، وبينما هم في مكانهم حتى سمعا صوت أحدهم ينادي يقول لهم الشيخ أبو فريال يطلبكم

انطلقا الاثنان مسرعين له وكان جابر يسابق الريح بكلّ شغف يريد معرفة مصير سعاد وفور دخولهم تفاجأ جابر بكلام أبو فريال:

- سعاد عبثت مع الشيء الخطأ

ردّ جابر:

- ماذا تقصد؟

أجابه الشيخ:

- شقيقتك عندما كانت في زيارة لأحد أقاربكم قبل ثلاث أشهر، كانت ذاهبة مع بعض الفتيات ومرّا من جانب بيت مهجور، وهم في الطريق طلبت سعاد من الفتيات التوقّف، لأنها تريد قضاء حاجتها وكانا قريبين جدًّا من أحد البيوت المهجورة، دخلت شقيقتك المكان وهي خائفة، وأثناء قضاء حاجتها تفاجأت بذلك البوم الذي يقف أعلي البيت وينظر لها بحدّة كبيرة، شعرت شقيقتك بالخجل، فحاولت إبعاده عن المكان لأنّها لا تريد قضاء الحاجة وهو ينظر لها، وشعرت للحظات كأنه شخص بسبب تلك النظرات الغريبة من البوم، وقامت برميه بالحجارة محاولة طرده، حتى كانت المصيبة عندما أصابت إحدى الأحجار جناح الطائرة، ليبتعد عن المكان، وطبعًا أنتم تعرفون أن "البومة" التي كانت داخل البيت المهجور هو المارد أبو شامخ، فحقد على شقيقتك وأراد الانتقام، وتبعها لمنزلها يحاول إيذاءها، فحصلت في البداية بعض التغيرات على تصرفات سعاد ومن ثم حدثت تغييرات جسدية، حتى إنه سيطر عليها سيطرة كاملة محاولا قتلها في البداية

يعتبر شامخ مارد صعب المراس لا يهاب أحدًا، الغريب في الأمر أن أبو شامخ وقع في حب أختك، فتغيّر الحقد إلى حبّ بلحظة، هنا قام هذا المارد بفعل فعائله بدافع العشق لأنها يريد الاختلاء بها،

قاطعه جابر قائلًا:

- لماذا لم يأخذها ويرحل، لماذا حصلت كل هذه الأحداث معي

قال أبو فريال وهو يهزّ رأسه:

- من عادات قبيلة الجنّ التي ينتمي لها المارد أبو شامخ في الزواج لديهم، أن يقوم أحد عائلة العروس بتقديمها للعريس، وهذا ما حدث بالضبط، عندما قاموا أعوان جابر، وبالتحديد ذلك الرجل الذي التقيت به عند باب بيتك، ودلّك على بيت أبو شامخ وقال لك إنه معالج جيد، فما هو إلا من الجنّ تشكّل على هيئة إنسان، وكلّ من قابلتهم داخل ذلك البيت الكبير كلّهم من قبيلة الجنّ التي ينتمي لها أبو شامخ، وكانوا يتحضرون لإقامة حفل زفاف لهذا المارد، وكانت كلّها واضحة أمام عينك في ذلك اليوم

قاطعه جابر مجدّدا وقال:

- كيف أستطيع أن أجد مكان أبو شامخ.

قال أبو فريال:

- لن تجدهم، وإذا كنت تريد السلامة فانس الموضوع برمته، لأنك لو حاولت لأقاموا بقتلك وربّما إيذاء عائلتك، عد لبيتك ووالدتك واحكي لها ما حدث واطلب السلامة، فهذه القبيلة من الجن لن ترضى أي أنسي الاقتراب منها

بسبب القوة الهائلة التي يتمتعون بها، وأختك لن تراها إلا جثة هامدة، لأنها لو ماتت فسيلقون بجثمانها أمام بيتك، طبعا هذه عاداتهم الغريبة، فهذه القبيلة من الجن لديها قوة كبيرة، لن يقدر عليها إلا الله، ولا أدري من يملك الآن هذه القوة لإرجاع شقيقتك

لم يصدق جابر ما قاله أبو فريال، وبدأ بتكذيبه، لكنه في الأخير بقى صامتا يبكي بحرقة و ألم، خاصة أنه يعلم جيدا أن أهل المنطقة لن يصدقوه أبدا وربما يعتقدون أنه قتلها ودفنها في مكان ما

وهو ما حدث بالضبط عندما عاد لوالدته يجرّ أذيال الهزيمة، حتّى إنّ أمّه لم تصدقه، وأصبح حديث الناس فتلك الحقبة، قاتل أخته المجنونة، وأطلقوا عليه لقب، أبو البومة نسبة للحكاية التي ادعاها، هنا السؤال الذي يخطر على الأذهان هل جابر قتل شقيقته؟ وحبك تلك القصة متّهما المارد أبو شامخ حتى يصدقوه الناس؟؟؟!!!!

ملاحظة اكتشفت بعد نهاية هذه الحكاية أنّ جابر هو جدّ أبي الذي مات قبل مدة طويلة، ووصى جدي هو والد أبي بعدم دخول الغرفة والكشف عن إسرارها، والوصية تناقلتها الأجيال إلا أن وصلت لي، وعلى ما يبدو أنني سأنقل تلك الحاجيات وتلك القصة لغرفة جديدة في بيتي الجديد الذي سأنتقل له، وأيضا سأوصي أبنائي بعدم دخول تلك الغرفة، أمر غريب أنّ هذه القصة المريبة حدثت لأحد أجدادي ويدعى جابر

****

لهذا الحدّ توقّف صاحب الرسالة، ولم يذكر ما حدث له عندما نقل حاجيات غرفة جده جابر، بصراحة كنت أتحرّق شوقا لمعرفة ما حدث، وأعتقد أن ناقل القصة اكتشف أمورًا أخرى تخصّ حكاية جده جابر، ولا أخفي عليكم أنّ قصته كانت تثير الاستغراب والتساؤلات، انتظر منه رسالة جديدة خلال الأيام القادمة

في هذا الكتاب نقلت ستّ حكايات مختلفة بعضها عن بعض، مغلفة في إطار الغرابة والخوف والتساؤلات والغموض، أردت منكم جميعا مشاركتي بالدهشة التي حصلت لي عندما قرأتهم أول مرة، وأتمنّى من كلّ قلبي أن تشعروا بالشعور نفسه الذي حصل لي والتساؤلات العديدة التي طرأت علي عندما انتهيت منهم، وأتمنّى –أيضا- إنكم قد استمتعت كثيرًا بتلك الحكايات ولم تشعروا بجانب الملل، السؤال الذي أودّ أن أطرحه الآن

أيّ القصص قد أعجبك أو أعجبتك ولماذا؟، أتمنّى مراسلتي على حساباتي الموجودة

وبالأخير شكرا لكم على ثقتكم باقتناء هذا العمل، وأتمنّى أن أكون عند حسن ظنّكم

لحظة... لدي مجموعة أخرى من القصص الغريبة والغامضة لم أقم بنشرها، ومن الممكن أن يتم إصدار جزء ثانٍ في حال إذا ما حقق هذا الكتاب النجاح المرجو منه

أنتظر ردود أفعالكم بفارغ الصبر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخاتمة

لن تسموَ حتّى تعرفَ حقيقةَ نفسِك، لن تنجحَ حتّى تتعثّرَ بصخور الحياة، لن تسيرَ سفينةُ حياتِك إذا لم تتعلّم فنَّ التظاهُر، لن تحقّقَ أحلامَك إذا أجلّتَها، إذا لم تتجاوز الظروف الصعبة إذا لم تعرف فنّ المواجهة، كلّ ما سبق يعتمد على الحقيقة فلا تغضَّ الطرفَ عنها، اكتشفها حتّى لو كانت مؤلمةً، فهناك حياةٌ مليئةٌ بالنجاح بالسموّ بتحقيق الأحلام بالراحةِ بالتجاوز، وتأكّد أنّك لديك القدرةُ على تحمّل ألمِ الحقيقة فهناك مَن يموتُ حيًّا بسبب تلك الحقيقةِ التي لا يعرفُ كيفَ يتعاملُ معها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..

المقدّمة

شيءٌ غريبٌ

خَلفَ الخَوف

صمتُ القبور

أرواحٌ مَحبُوسَة

ميلادٌ

البُومَة

الخاتمة

الفهرس..